إصلاح ذات البين
مشروعيته. فضله. حكمه. أهدافه. أساليبه. آثاره

الدكتور
أيمن بن نامي العمري
الأستاذ المساعد في كلية التربية والآداب بجامعة تبوك

المستخلص

الحمد لله وكفى والصلاة السلام على عباده الذين أصطفى، وبعد:

يُعد الإصلاح بين الناس من أجلّ الأعمال التي يُتقرب بها إلى الله ﷻ، ومن أهم الأهداف النبيلة التي دعا إليها الإسلام منطلقاً من قول الله -تعالى-: {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ} (الأنفال:١) وفي الآية الأخرى {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} (الحجرات:١٠)، وفي هذه الدراسة بيان لمشروعية إصلاح ذات البين، ، وفضله، وحمكه، وأهدافه، وآثاره، وفق المنهج الاستقرائي الوصفي والاستنباطي، بذكر الإجراءات وأدلة الاستدلال والأساليب المختلفة التي استخدمها الإسلام في إصلاح ذات البين، والتي منها: الترغيب والترهيب والعفو والتنازل و القصص وضرب الأمثال و إزالة الشبهات و التحذير من الشح في الخصومة و التذكير بقرابة الرحم وأهميته و التذكير بعواقب فساد ذات البين إلى غير ذلك من الأساليب المتضمنة في هذه الدراسة، وفق الضوابط الشرعية والتي منها، أن لا يكون في حق من حقوق الله ﷻ و أن لا يحل ما أحرم الله أو يحرم ما أحل الله و العدل بين المتخاصمين و التراضي بين المتخاصمين بدون إلزام إلى غير ذلك من الضوابط، وذكر الآثار من إصلاح ذات البين والتي منها، التضامن والتكافل بين أفراد المجتمع و توحد المجتمع المسلم وتماسكه و علو المجتمع المسلم وتميزه و

قوة المجتمع ومنعته إلى غير ذلك من الآثار، متضمنة مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة.

الكلمات الافتتاحية: (البين، الإصلاح، التنازع، الخصومة، التسامح).

Abstract

Praise be to Allah and that is sufficient, and prayers and peace be upon His servants whom He has chosen, and after:

Reconciliation among people is for the sake of the actions by which one draws closer to Allah, and one of the most important noble goals that Islam called for, based on the words of Allah - the Most High -: {فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ}(الأنفال:١) and in the other verse {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ}(الحجرات:١٠) and in this study, a statement of the legitimacy of the reform of a relationship, its virtue, its wisdom, its objectives, and its effects, according to the inductive, descriptive and deductive approach, by mentioning the procedures, evidence of inference and the various methods used by Islam in reforming the relationship, including: Encouragement, intimidation, pardon, concession, stories, proverbs, removing suspicions, warning against sparring in quarrels, reminding the kinship and its importance, and reminding the consequences of corruption between the relationship, and other methods included in this study, according to the legal regulations, including, that it is not in the right of the one The rights of Allah and that he does not permit what Allah has forbidden or prohibit what God has permitted, justice between the quarrels, mutual consent between the disputants without obligating other controls, and mentioning the effects of reconciliation between people, including solidarity and solidarity between people The community, the unity and cohesion of the Muslim community, the highness and distinction of the Muslim community, the strength of the community and its prevention and other effects, including an introduction, a preface, three chapters, and a conclusion.

Keywords: (Between, contention, antagonism).

بسم الله الرحمن الرحيم

□ المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين، وبعد:

فلا ريب أن إصلاح ذات البين من أهم الأهداف النبيلة التي دعا إليها الإسلام منطلقاً من قول الله -تعالى-: {فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ} (الأنفال:١) وفي الآية الأخرى {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} (الحجرات:١٠) وفي آية ثالثة {فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ} (النساء:١٢٨).؛ ولأن الشقاق والخلاف من أخطر أسلحة الشيطان الفتاكة التي يوغر بها صدور الخلق ، لينفصلوا بعد اتحاد ، ويتنافروا بعد اتفاق ، ويتعادوا بعد كانوا إخوة متحابين ؛ وقد اهتمَّ الإسلام بمسألة احتمال وقوع الخلاف بين المؤمنين وأخذها بعين الاعتبار ؛ وذلك لأن المؤمنين بَشَرٌ- يخطئون ويصيبون ، ويعسر أن تتَّفق آراؤهم أو تتوحَّد اتجاهاتهم دائماً ، ولهذا عالج الإسلام مسألة الخلاف على اختلاف مستوياتها بدءاً من مرحلة المشاحنة والمجادلة ، ومروراً بالهجر والتباعد ، وانتهاءً بمرحلة الاعتداء والقتال ، والإسلام دين يتشوّف إلى الصلح ويسعى له وينادي إليه ، وليس ثمة خطوة أحب إلى الله ﷻ من خطوة يصلح فيها العبد بين اثنين ويقرب فيها بين قلبين ،

فبالإصلاح تكون الطمأنينة والهدوء والاستقرار والأمن وتتفجر ينابيع الألفة والمحبة .

والشريعة الإسلامية هي التي أمرت بإفشاء السلام، وإطعام الطعام، والحب في الله تعالى، والزيارة فيه، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس، وعيادة المريض، واتباع الجنازة، وحفظ حقوق الأهل والقرابة والجيران، وجعلت للمسلم على أخيه المسلم حقوقا يحفظها له، فيؤجر عليها، وأرشدت إلى كثير من الآداب والأخلاق التي من شأنها أن تقوي الروابط، وتديم الألفة، وتزيد في المودة والمحبة بين الناس. وهي التي حرمت الهمز واللمز والسخرية، والغيبة والنميمة، والقذف والبهتان، والشتم والسباب، والكذب والمراء، والفجور والجدال، وغير ذلك من الأقوال والأفعال التي من شأنها أن تكون سبباً في ظهور الضغائن والخصومات، وتؤجج نيران الأحقاد والعداوات.

أهمية اختيار الموضوع:

ولما لهذا الخلق الكريم من أهمية، وحاجة الناس إليه مُلحة؛ في استقامة أمورهم، وتنمية مصالحهم الدنيوية والأخروية، وركيزة أساسية لديمومة عيشهم، فالحياة بلا إصلاح لذات البين لا تتسم بالاستقرار، ولا تنعم بالأمن، ولهذا أخترت أن يكون بحثي في بيان مشروعية (**إصلاح ذات البين**)، وفضله، وحكمه، وأهدافه، وأساليبه، وآثاره.

تساؤلات البحث:

التساؤل الرئيس لهذه الدراسة كيف اعتنى الإسلام بإصلاح ذات البين، ويتفرع عن هذا التساؤل الأسئلة التالية:

١- ما أهمية إصلاح ذات البين؟

٢- ما المراد بإصلاح ذات البين؟

٣- ما أهم أهداف إصلاح ذات البين؟

٤- ما ضوابط إصلاح ذات البين؟

٥- ما وسائل وأساليب إصلاح ذات البين؟

٦- ما الآثار المترتبة على إصلاح ذات البين؟

أسباب اختيار الموضوع:

١- أهمية الموضوع كما سبق بيانه.

٢- الحاجة الملحة لبيان موجبات إصلاح ذات البين، لاسيما مع وجود أسباب النزاع والفُرقة، وانتشار الوسائل الموجبة للبغضاء والكراهية بين الناس.

٣- أن هذا الموضوع حسب علمي لم ينل بما فيه الكفاية بالعناية والنشر والبيان والدعوة إليه، فأردت المساهمة في بيانه.

أهداف الموضوع:

١- تقديم دراسة وافية تجمع بين مشروعية إصلاح ذات البين، وحكمه ووسائله الشرعية، وفضل القيام به، والعمل بموجباته حسب الأدلة الشرعية.

٢- خدمة للثقافة الإسلامية؛ بتقديم موضوع رصين يهم كل داعية ومصلح ومهتم بقضايا الإصلاح بين الناس.

٣- المساعدة للمشتغلين والمهتمين بمشروع إصلاح ذات البين من الأفراد والمؤسسات؛ في جمع مدة علمية تتضمن حكم إصلاح ذات البين، ووسائله، وأساليبه وصوره.

حدود البحث:

ستكون دراستي -بإذن الله -لموضوع إصلاح ذات البين في إطار المفهوم الشرعي؛ المستند على أدلة الكتاب والسنة، وكلام علماء المسلمين وفهمهم.

منهج البحث:

١- الاختصار في طرح المبحث والأقسام قدر المستطاع.

٢- تصور ما تضمنه عنوان المبحث والقسم مقروناً بما يتسر من أدلة الكتاب والسنة وكلام العلماء.

٣- عزو الآيات القرآنية الواردة في البحث إلى سورها؛ وذلك ببيان اسم السورة ورقم الآية.

٤- تخريج الأحاديث النبوية والآثار عند أول ورودها في البحث مع بيان درجتها إن لم تكن في الصحيحين أو أحدهما.

٥- لم أترجم للأعلام الوارد ذكرهم رغبة في الاختصار في مثل هذه البحوث.

٦- أذكر اسم الكتاب بالهامش، وذكر اسم المؤلف، والناشر، ورقم الطبعة، وسنة النشر في أول ورود له في البحث.

تقسيمات البحث:

انتظمت خطة البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة:

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، وحدوده، ومنهج الموضوع وتقسيماته.

التمهيد: وتضمن تعريفات لمصطلحات العنوان.

المبحث الأول: **مشروعية إصلاح ذات البين وفضله**.

أولاً: مشروعية إصلاح ذات البين.

ثانياً: فضل إصلاح ذات البين.

المبحث الثاني: **ضوابط إصلاح ذات البين وأهدافه**

أولاً: ضوابط إصلاح ذات البين.

ثانيا: أهداف إصلاح ذات البين.

المبحث الثالث: **أساليب إصلاح ذات البين وآثاره**.

أولاً: أساليب إصلاح ذات البين.

ثانياً: آثاره على الفرد والمجتمع.

الخاتمة: جعلت في نهاية البحث خاتمة بينت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

وفي الختام أتوجه إلى الله ﷻ بالشكر على نعمه الظاهرة والباطنة؛ ومنها إكمال البحث على هذا الوجه، **وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين**.

تمهيد

نبذة في تعريف مصطلحات العنوان:

أولاً: مفهوم الإصلاح في اللغة والاصطلاح:

في اللغة: نقيض الإفساد، وأصلح الشيء بعد فساده: أقامه[١]، وأصلحت بين القوم: وفَّقت[٢] ويقال أصلح بينهما، أو ذات بينهما، أو ما بينهما: أزال ما بينهما من عداوة وشقاق، واصطلح القوم: زال ما بينهم من خلاف[٣]، ويختص الصلاح بالأفعال غالباً[٤].

في الاصطلاح: تعددت تعريفات مصطلح (إصلاح ذات البين) إلا أنها تتفق في معاني التوفيق والتأليف بين الخصوم بكل ما يمكن من وسائل وأساليب وفق الضوابط الشرعية، ومن أهم تلك التعريفات:

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، تحقيق وتصحيح: أمين وهاب ومحمد الصادق العبيدي، مادة: (صلح)، (٧/ ٣٨٤)، ط: دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت-لبنان، الطبعة: ٢، ١٤١٧هـ

(٢) المصباح المنير في غريب الرح الكبير، أحمد بن محمد المقرئ، تحقيق: عادل مرشد، (ص٢٨٤)، مادة: (صلح)، دار النشر ورقم الطبعة (بدون).

(٣) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، (١/ ٥٢٠)، مادة: (صلح)، ط: المكتبة الإسلامية، إسطنبول، ط: ٢

(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: محمد علي النجار، (١/ ٤٣١)، ط: وزارة الأوقاف بجمهورية مصر، ط: ٢، ١٤٠٦هـ.

(الإصلاح بين المتباينين أو المتخاصمين، بما أباح الله ﷻ من الإصلاح بينهما ليتراجعا إلى ما فيه الألفة واجتماع الكلمة على ما أذن الله وأمر به)[١].

وفي تعريف آخر: (التوفيق بين المتنازعين حتى يلتئم بعضهم إلى بعض ويزول ما في أنفسهم)[٢] وقيل: (التأليف بينهم بالمودة إذا تفاسدوا من غير أن يجاوز في ذلك حدود الشرع الشريف)[٣]. وآخر: (التأليف بين قلوبهم بمودة تشد بعضها إلى بعض)[٤] إلى غير ذلك من التعريفات.

يتضح أن مصطلح (الإصلاح) يعني الاتفاق على معاني الألفة، ونزع فتيل التخاصم، ورفع المنازعات، وهذا هو المراد من الصلح الذي جاءت النصوص الشرعية بالدعوة إليه، قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ

---

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (٧/ ٤٨١)، ط: دار هجر – القاهرة، ط: ١ ١٤٢٢هـ.

(٢) تفسير القرآن العظيم، محمد بن صالح العثيمين، (٣/ ٩١)، ط: دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢٣هـ.

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين الألوسي، (٥/ ١٤٥)، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت)، ط: ٤، السنة: ١٤٠٥هـ.

(٤) الجديد في تفسير القرآن المجيد، محمد السيزواري، (٢/ ٣٤٥)، (بتصرف)، ط: دار التعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط: ١، السنة: ١٤٠٢هـ.

مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات :٩] وقوله ﷻ: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [لنساء: ١٢٨]، قالوا: معناه جنس الصلح خير، فيعلم بهذا أن جميع أنواع الصلح هي حسنة ، لما فيه من إطفاء للثائرة بين الناس ، ورفع المنازعات عنهم[١].

ثانيا: مفهوم ذات البين:

يقصد بـ (ذات البين): بـــ (صاحبة البين)، ويأتي (البين) في كلام العرب ويراد به معنيان متضادان: بمعنى: الفراق والفرقة، و: الوصل.

وعلى هذا فيأتي المراد بإصلاح ذات البين على **المعنى الأول**: بإصلاح صاحبة الفرقة بين المسلمين، وإصلاحها يكون بإزالة أصحاب الخصام، أو بالتسامح والعفو، أو بالتراضي على وجه من الوجوه، وبهذا الإصلاح يذهب البين وتنحل عقدة الفرقة، ويأتي على **المعنى الثاني**: إصلاح صاحبة الوصل والتحابب والتأليف بين المسلمين، وإصلاحها يكون برأب ما تصدع منها، وإزالة الفساد الذي دأب إليها بسبب الخصام والتنازع على أمر من أمور الدنيا وشأن من شؤونها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ونحوها[٢].

---

(١) انظر: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي، (٥/ ٢٩-٣٠)، ط: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

(٢) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن بن حبنكة الميداني، (٢/ ٢٣٠)، دار القلم، دمشق، سوريا، ط: ٥، السنة: ١٤٢٠هـ

ثالثا: إصلاح ذات البين:

يعتمد مفهوم مصطلح (إصلاح ذات البين) على ما سبق بيانه في تعريف مصطلح (الإصلاح) ومصطلح (ذات البين)، ويتضح المعنى المراد منه؛ أنه: (السعي والتوسط بين المتخاصمين لأجل رفع الخصومة والاختلاف عن طريق التراضي والمسالمة تجنباً لحدوث البغضاء والتشاحن وإيراث الضغائن، أو هو: إزالة ما بينهم من النفرة والخصام)[1].

❁❁❁

(١) السلوك الاجتماعي في الإسلام، حسن أيوب، (ص٤٠٢)، دار السلام، السنة: ١٤٢٢هـ.

المبحث الأول:

مشروعية إصلاح ذات البين وفضله.

تُعد الأخلاق الحسنة إحدى الركائز التي جاء بها الإسلام ودعا إليها، وحث عليها، وحرم مضادها، ومن ذلك خُلق الإصلاح بين الناس، الذي تضمن أهداف سامية وغايات نبيلة، تسمو بها المجتمعات، فتصفوا القلوب، وتعف الألسن، ويتفرغ الأفراد لما هو أولى في عيشهم وحياتهم، ومن ثم يحصل التعايش السلمي، الذي هو غاية الحياة الكريمة، والهدف الأعظم في حماية الأفراد والمجتمعات من الخراب والتناحر وتسلط الأهواء على العقول، فيتولد التنازع ويقع الوهن ويحل الضعف بينهم؛ وفي هذا المبحث بيان لمشروعية (إصلاح ذات البين) وفضله.

أولاً: مشروعية إصلاح ذات البين.

أجمعت الأمة الإسلامية على أن إصلاح ذات البين من أوكد الأعمال وأوجبها على من يستطيع القيام به من المكلفين، وقد تعددت الأدلة من القرآن والسنة على عظم ومكانة هذا الخلق الرفيع، والدعوة للتحلي به، وهو من الضروريات التي جاءت بها الفطرة البشرية والنفوس السوية، وهو مما يستدل به ولا يستدل عليها، حيث أن الإصلاح وإزالة الفساد ودوام الأخوة بين المسلمين من المقاصد الأصيلة

في الشريعة الإسلامية[١]، وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - إلى أن تأليف القلوب، واجتماع الكلمة، وصلاح ذات البين، من القواعد العظيمة التي هي من جماع الدين[٢].

ومن النصوص الصريحة الموجبة لصلاح ذات البين قوله ﷻ: (**فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم**)، يقول ابن عباس ﷺ: (هذا تحريج من الله على المؤمنين أن يتقوا الله ويصلحوا ذات بينهم)[٣].

قال فضل الله الجيلاني - رحمه الله -: (التحريج التضييق، أي لا مساغ للناس سوى التقوى والإصلاح)[٤].

ومن تلك النصوص المؤكدة قوله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحجـــــــرات: ١٠]. يقول السمعاني - رحمه الله -: (ذكر الأخوين ليدل على وجوب

---

(١) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق: محمد الحبيب بن خوجة، (٣/ ١٩٥)، الناشر: وزارة الأوقاف قطر، ط:١ السنة: ١٤٢٥ه.

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم، (٢٨/ ٥١)، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط: ١٤١٦هـ.

(٣) جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، (مرجع سابق)، ١١/ ٢٥-٢٦).

(٤) فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد، فضل الله الجيلاني، تحقيق: أبو البراء يوسف البكري، (٢/ ٥٥)، الناشر: دار المعاني، ط: ١، السنة: ١٤٢٠هـ.

الإصلاح بينهما على وجوب الإصلاح بين الجمع الكثير)[١]؛ وقال أبو حيان – رحمه الله – : (فإذا كان الإصلاح لازماً بين اثنين فهو ألزم بين أكثر من اثنين)[٢].

ويقول الألوسي –رحمه الله –في تفسيره لهذه الآية: (وضع الظاهر موضع الضمير مضافاً للمأمورين للمبالغة في تأكيد وجوب الإصلاح، والتحضيض عليه، وتخصيص الإثنين بالذكر لإثبات وجوب الإصلاح فيما فوق ذلك بطريق الأولوية لتضاعف الفتنة والفساد فيه)[٣]؛ وقد عدَّ الإمام ابن جرير الطبري – رحمه الله – إصلاح ذات البين من فرائض الإسلام على المسلمين؛ حيث قال عند قوله ﷻ : (**فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم**): (وخافوا الله أيها الناس بأداء فرائضه عليكم، في الإصلاح بين المقتتلين من أهل الإيمان بالعدل، وفي غير ذلك من فرائضه)[٤].

---

(١) تفسير القرآن، أبو المظفر السمعاني، تحقيق: أبو بلال غنيم بن عباس، (٥/ ٢٢١)، الناشر: دار الوطن، ط: ١، ١٤١٣هـ.

(٢) تفسير أبو حيان الأندلسي، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرون، (٨/ ١١١)، الناشر: دار الكتب العلمية، ط:١، ١٤١٣هـ.

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل الألوسي، (مرجع سابق)، (٢٦/ ١٥١).

(٤) جامع البيان، ابن جرير الطبري، (مرجع سابق)، (٢١/ ٣٦٤).

ومما ورد في السنة بشأن إصلاح ذات البين ما جاء في أخذ النبي ﷺ على المهاجرين والأنصار، والكتاب الذي كتبه عليهم ؛ فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار: (أن يعقلوا معاقلهم، وأن يفدوا عانيهم بالمعروف، والإصلاح بين المسلمين)[١].

يقول الإمام الغزالي – رحمه الله –في وجوب الإصلاح بين الناس، وأن الرخصة في الكذب فيه دلالة على وجوبه: (وهذا يدل على وجوب الإصلاح بين الناس، لأن ترك الكذب واجب، ولا يسقط الواجب إلا بواجب أكد منه)[٢]، وفي ذلك يقول الشيخ محمد رشيد رضا: (وأمرنا في الكتاب والسنة بإصلاح ذات البين، فهو واجب شرعاً تتوقف عليه قوة الأمة وعزتها ومنعتها وتحفظ به وحدتها)[٣].

---

(١) المسند، أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد بن محمد شاكر، (٤/ ١٤٦)، حديث رقم: ٢٤٤٣، الناشر: مكتبة التراث الإسلامي، الرياض، قال المحقق: إسناده صحيح.

(٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد الغزالي، (٢/ ٢٨٧)، الناشر: دار الهادي، بيروت، ط: ١، ١٤١٢ه.

(٣) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (٩/ ٤٨٩)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م.

قال محمد البخاري – رحمه الله –:(والعقل يؤكد منافع الصلح للطرفين المتخاصمين حفظاً لنفوسهم وأموالهم ومصالحهم)[١] وبهذا يتضح أن الإصلاح بين الناس من فروض الكفاية التي فرضها الله على عباده القادرين بالقيام به؛ لأن في تركه وإهمال العمل به خطر على الامة الإسلامية، وعلى تماسكها وقوتها[٢].

ويتأكد هذا الوجوب في صور، منها:

١ـ إذا كان التنازع جماعي، أو كانت الخصومة مقرونة باقتتال.

وفي هذه الحالة يتعين على ولي الامر أو من ينيبه،[٣] قال ﷻ: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات: ٩]، قال الإمام الألوسي – رحمه الله – : (الخطاب فيها لمن له الأمر وروى ذلك عن ابن عباس ﷺ ، وهو للوجوب فيجب الإصلاح ويجب قتال الباغية...)[٤].

---

(١) محاسن الإسلام، محمد بن عبد الرحمن البخاري، تحقيق: محمد بن عبد السلام سلاطين، (ص٦٥)، الناشر: المكتبة المصرية، ٢٠٠٤م.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، (٢/ ٢٧٠)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥ه.

(٣) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، (مرجع سابق)، (٨/ ١١١).

(٤) روح المعاني، (مرجع سابق)، (٢٦/ ١٥١).

وقال الدكتور وهبة الزحيلي – رحمه الله –: (الخطاب لولاة الأمور والأمر فيها للوجوب)[١].

٢ـ إذا كان التنازع بين الأقارب كالزوجين.

يتعين في هذه الحالة على أهليهما، يقول الشيخ محمود رحمه الله –:(وإذا كان مبدأ الإصلاح في الإسلام مقرراً هكذا على المسلمين بالنسبة للناس جميعاً، وبالنسبة لإخوانهم في الدين أشد وجوباً وآكد طلباً بالنسبة لعمادي الأسرة.)[٢].

٣– إذا كان التنازع والخصومات بين عامة الناس.

يتعين إصلاح ذات البين في هذه الحالة لمن شهد الخصومة أو علم بها من المسلمين، إذا لم يقم بها غيره، ومن ظن أن الخصوم يقبلون منه دون غيره؛ فإنه لا يجوز له ترك الإصلاح بينهم[٣].

وهكذا فإن الإصلاح بين الناس يتأكد حسب حالات المخاصمين، ويختلف من حيث القرابة وعدمها، فليس حال

---

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، (٢٦/ ٢٣٧)، الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت، ط:١، السنة: ١٤١١ه.

(٢) الإسلام عقيدة وشريعة، محمود شلتوت، (ص١٦٧)، الناشر: دار الشروق، ط: ١٢، السنة: ١٤٠٣ه.

(٣) انظر: بريقه محمودية، محمد الخادمي، (٤/ ٤٦)، الناشر: الحلبي، السنة:١٣٤٨ه.

الـزوجين كحـال مـن دونهـما، لمـا للـزوجين مـن أهميـة في بنـاء الاسرة، وديمومتها، وليس حال ذوي الأرحـام كحـال البعيـد مـن النـاس، فـإن فإن التنازع الذي يقع في الأقارب أكثر ضرراً على المجتمع من غيره مـن غيره من التخاصم والتنازع.

ثانياً: فضل الإصلاح بين الناس.

يُعد إصلاح ذات البين ضرورة من ضروريات الحيـاة، وخُلـق رفيع من الاخلاق التي دعا إليه الإسلام، وأجمعت الإنسانية على الندب إليه، والحث بالقيام به، فالإنسان بطبعه لايزال بحاجة لغيره ، ومع هذه الحاجة القائمة والداعية لاختلاطه بغيره، فإن طبعه وميوله وهواه يختلف عن الآخر، فيحصل بسبب ذلك التنازع، وتقـع الخصـومة، فيتولـد عـن ذلك فساد لذات البين، وهو أمر حتمي في كل عصر وزمان، ولهذا تبرز لنا أهمية إصلاح ذات البين، وضرورة من يتصدى له ويبادر للقيام بـه ، يقول الحـافظ ابـن حجـر الهيتمـي – رحمـه الله – : (التنـافس والتحاسـد والعداوة بين الأقارب حتى الأخوين الشقيقين مركوزة في طباع النـاس من حين وجدت ذرية آدم وظهرت، وأنها قد تـؤدي إلى القتـل عـلى أمـر حقير تارة وعظيم أخرى، وبأن الإنسان عند غلبة هواه ونفسه عليه يصير

أعمى أصم أبله مجنوناً؛ كأنه ما سمع قط أمراً بصلة رحم ولا نهياً عن قطعها ولا تشديداً غليظاً في إيذاء الأقارب فضلاً عن عموم المسلمين)[١].

فإصلاح ذات البين ضروري لحماية الحياة، وتنميتها، وهو وسيلة للوقاية من المهالك التي تولد التنازع والخصومات، وحماية لكيان الأسرة المسلمة من السقوط والتصدع، وتبعات ذلك من تفكك للأسرة وضياع لغياتها الحميدة، وأهدافها الرفيعة، وهو ضروري لحقن الدماء وإطفاء الفتن، وبه يكون الائتلاف والوحدة التي بها قيام الدول، وبقاء ريحها وقوة شوكتها، وهو ضروري لحماية الدعوة إلى الله ﷻ، فوجود القائمين بإصلاح ذات البين في المجتمع أمر مهم وحاجة ملحة للفرد والمجتمع، وهو أمارة خير تبعث على الاطمئنان والشعور بالرضا؛ لأن وجودهم أشبه ما يكون بدعامة تمنع البناء الاجتماعي من الانهيار، وتثبت الأركان، وتحميها من التصدع، كما أن وجودهم يعيد إلى الحياة الاجتماعية طبيعة الخير والقدوة الحسنة[٢].

---

(١) أسنى المطالب في صلة الأقارب، أحمد بن محمد الهيتمي، تحقيق: خلاف محمود عبد السميع، (ص٢٩٩)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، السنة:١٤٢٤هـ.

(٢) انظر: موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، إصلاح ذات البين، (مرجع سابق)، (٧/ ٣٩).

ولهذا رتب الإسلام للقائم بإصلاح ذات البين عدد من الفضائل مع المكانة الرفيعة، ومن ذلك:

١- خيرية القائم بإصلاح ذات البين.

فقد خص الله ﷻ المصلح بين الناس من بين ثلاث فئات في قوله ﷻ: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤]. **يقول الإمام الطبري – رحمه الله-:(وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك أن تجعل " من " في موضع خفض بالرد على النجوى، وتكون النجوى بمعنى جمع المتناجين، خرج مخرج السكرى والجرحى والمرضى، وذلك أظهر معانيه، فيكون تأويل الكلام: لا خير في كثير من المتناجين يا محمد من الناس، إلا في أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس، فإن أولئك فيهم الخير)**[1]**. وقال الحافظ ابن حجر – رحمه الله -:(التقدير: إلا نجوى من ... الخ، فإن في ذلك الخير، ويحتمل أن يكون الاستثناء منقطعاً، أي: من أمر بصدقة... الخ، فإن في نجواه الخير، وهو ظاهر في فضل الإصلاح**[2]**.**

---

(١) جامع البيان، أبو جعفر الطبري، (مرجع سابق)، (٧/ ٤٨٣).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي العسقلاني، (٥/ ٣٦٦)، الناشر: دار السلام، الرياض، ط:١، السنة:١٤١٨ه.

٢ـ تخصيص الله ﷻ للإصلاح بين الناس بالذكر.

وذلك بتخصيصه بالذكر على عموم المعروف المأمور به والذي جاء في قوله ﷻ: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٤]**.، فقد خصه بالذكر وعطفه على معروف من باب ذكر الخاص بعد العام اهتماماً به ولإظهار فضله، يقول الإمام ابن عطيه – رحمه الله – : (والمعروف لفظ بعم الصدقة والإصلاح، ولكن خصا بالذكر اهتماماً بهما، إذ هما عظيما الغناء في مصالح العباد، ثم وعد تعالى بالأجر العظيم على فعل هذه الخيرات بنية وقصد لرضا الله ﷻ)**[1] **وقال البقاعي – رحمه الله– : (ولما كان إصلاح ذات البين أمراً جليلاً، نبه على عظمه بتخصيصه بقوله : (أو إصلاح بين الناس) آي عامة)**[2] **وقال أبو السعود – رحمه الله – عند تفسيره لقوله تعالى :** ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد الله الأنصاري وآخرون، (٤/٢٦٦)، ط: ١، السنة:١٤٠٢ه.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن البقاعي، (٥/ ٤٠٠)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط:٢، السنة: ١٤١٣ه.

[الأنفال: ١]: (وتوسيط الأمر بإصلاح ذات البين بين الأمر بالتقوى والأمر بالطاعة لإظهار كمال العناية بالإصلاح)[١].

٣- ترتيب الأجر العظيم لمن يسعى في إصلاح ذات البين.

فقد وعد الله ﷻ بالأجر العظيم لمن يقوم بإصلاح ذات البين كما في قوله ﷻ: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤]، يقول الخازن – رحمه الله- : (لا حد له لأن الله سماه عظيماً وإذا كان كذلك فلا يعلم قدره إلا الله)[٢] وقال البروسوي – رحمه الله – : (يقصر عنه الوصف، ويستحقر دونه ما فات من أعراض الدنيا)[٣]. وقال الألوسي – رحمه الله-: (لا يحيط به نطاق الوصف)[٤]. يقول ابن سعدي – رحمه الله : (وفي الآية الكريمة إشارة إلى أن الأمور المذكورة كلها خير ممن صدرت منه، والخير يجلب الخير،

---

(١) تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد العمادي، (٤/ ٣)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:٢، السنة:١٤١١ه.

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد البغدادي، تحقيق: عبد السلام شاهين، (١/ ٤٢٧)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، السنة: ١٤١٥ه.

(٣) تفسير روح البيان، إسماعيل حقي البروسوي، (٢/ ٢٨٤)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:٧، السنة:١٤٠٥ه.

(٤) روح المعاني، الألوسي، (مرجع سابق)، (٥/ ١٤٥).

ويدفع الشر، والمؤمن المحتسب فيها يؤتيه الله آجراً عظيماً، ومن جملة الأجر العظيم: زوال الهم والغم والأكدار ونحوها مع ما ينتظر صاحبها في الآخرة من جزيل وعظيم عطاء الله وتعالى وإيتائه)[١].

٤ـ **أن الإصلاح لذات البين من خصال الإيمان.**

وهو البين في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم)[٢]. فشيوع المحبة بين المسلمين يوافق كمال الإيمان وزوال ذلك يتنافى مع كماله، والتنازع والخصومات يتنافى مع المحبة؛ التي هي شرط لكمال الإيمان، يقول الهيتمي – رحمه الله –: (اعلم أن الإصلاح بين الناس من كمال الإيمان)[٣]. وقد عدَّ الإمام البيهقي – رحمه الله– الإصلاح بين الناس من شعب الإيمان[٤].

---

(١) انظر: الوسائل المفيدة للحياة السعيدة، عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي، (ص١٦)، الناشر: رئاسة البحوث العلمية – الرياض، ط:٣، السنة: ١٤١٧هـ.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، (ص٥٤)، حديث:٩٣.

(٣) أسنى المطالب، ابن حجر الهيتمي، (مرجع سابق)، (ص٢٨١).

(٤) انظر: شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد زغلول، (٧/ ٤٨٧)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، السنة:١٤١٠هـ.

٥- إصلاح ذات البين أولى من البر بالأيمان.

يظهر فضل الإصلاح بين الناس في أمر الله ﷻ بحفظ الأيمان، والتشديد في ذلك إلا في الأمور التي تتضمن ترك ما هو محبوب إليه، ومنها إصلاح ذات البين، يقول ﷻ: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٤]. فالإصلاح بين الناس أولى في كتاب الله من الإبرار باليمين[١]، بل إن الاستمرار على اليمين العارضة دون إصلاح ذات البين آثم لصاحبها من الخروج منها بالتكفير[٢] كما في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (والله لأن يلج أحدكم بيمينه في أهله آثم له عند الله من أن يُعطي كفارته التي افترض الله عليه)[٣]. يقول الإمام الشوكاني -رحمه الله -: (وذلك لأن الرجل كان يحلف على بعض الخير من صلة رحم أو إحسان إلى الغير أو إصلاح بين الناس بأن لا يفعل ذلك، ثم يمتنع من فعله معللا لذلك الامتناع بأنه قد حلف أن لا يفعله، وهذا المعنى هو

---

(١) انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، (١/ ١٦٩)، الناشر: دار القلم، دمشق، ط:١، السنة:١٤١٥ه.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، (١/ ٣٩٠)، تحقيق: محمد إبراهيم البنا وآخرون، الناشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة والسنة: بدون.

(٣) متفق عليه، البخاري، كتاب الإيمان، (٨/ ١٦٠)، حديث: ٦٢٥٠، ومسلم، كتاب الأيمان، باب النهي عن الإصرار على اليمين فيما يتأذى به أهل الحالف مما ليس بحرام، (٥/ ٨٨)، حديث رقم: (١٦٥٥).

الذي ذكره الجمهور في تفسير الآية)[١]. وقال الطاهر بن عاشور-رحمه الله -: (وقد دلت الآية على معنى عظيم: وهو أن تعظيم الله لا ينبغي أن يجعل وسيلة لتعطيل ما يحبه الله من الخير، فقد تعارض أمران مرضيان لله تعالى إذا حصل أحدهما لم يحصل الآخر ... فبر اليمين أدب مع اسم الله تعالى والإتيان بالأعمال الصالحة مرضاة لله فأمر الله بتقديم مرضاته على الأدب مع اسمه...)[٢].

٦- أن منزلة إصلاح ذات البين أفضل من الصيام والصدقة والقيام.

فالسعي بين الناس بالإصلاح، والعمل على إزالة الخلاف والشقاق بينهم، من أعظم ما يتقرب العبد به، يقول الساعاتي – رحمه الله –: (وإنما كان إصلاح ذات البين أفضل من الصلاة والصيام والصدقة لما فيه من عموم المنافع الدينية والدنيوية من التعاون والتناصر والألفة والاجتماع على الخير ولكثرة ما يندفع به من الشر والعداوة والبغضاء)[٣]. وقال الطيبي – رحمه الله-: (فيه حث وترغيب على إصلاح ذات البين، واجتناب عن الفساد فيها؛ لأن الإصلاح سبب للاعتصام بحبل الله،

---

(١) فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، (١/ ٢٢٩)، اعتنى به: يوسف الغوش، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ط١، السنة:١٤١٥ه.

(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، (مرجع سابق)، (٢/ ٣٧٩-٣٨٠).

(٣) الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، أحمد بن عبد الرحمن البنا ، (١٥/ ١٠٦)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة : بدون.

وعدم التفريق بين المسلمين، وفساد ذات البين ثلمة في الدين، فمن تعاطى إصلاحها ورفع فسادها نال درجة عند الله فوق ما ينالها الصائم القائم المشتغل بخويصة نفسه، فعلى هذا ينبغي أن تحمل الصلاة والصيام على الإطلاق والحالقة على ما يحتاج أمر الدين)[١].

ويؤكد ذلك الفضل حديث عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن أفضل الصدقة إصلاح ذات البين)[٢]، يقول الألوسي – رحمه الله – : (وهذا الخير ظاهر في أن الإصلاح أفضل من الصدقة بالمال)[٣]

وقال عبد الرحمن بن سعدي – رحمه الله–: (والساعي بالإصلاح بين الناس أفضل من القانت في الصلاة والصيام والصدقة، والمصلح لا بد أن يصلح الله سعيه وعمله)[٤].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (١٠/ ٢١٤)، الناشر: دار مصطفى الباز، ط:١ ، السنة: ١٤١٧ه.

(٢) المنتخب من المسند، أبو محمد عبد بن حميد، تحقيق: السيد صبحي السامرائي ومحمود محمد الصعيدي، (ص١٣٥)، الناشر: عالم الكتب، ط: ١، السنة:١٤٠٨ه وقال الالباني: حسن لغيره، انظر: السلسة الصحيحة (٦/ ٢٨٩).

(٣) روح المعاني في تفسير، الألوسي، (مرجع سابق)، (٥/ ١٤٥).

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (مرجع سابق)، (ص٢٠٢).

٧ـ قيام النبي ﷺ بمهمة إصلاح ذات البين بنفسه.

فقد ورد قيامه عليه السلام بمباشرة الإصلاح بين المتخاصمين، كما في حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك، فقال: (اذهبوا بنا نصلح بينهم)[١]. قال ابن حجر – رحمه الله – : (وفي هذا الحديث فضل الإصلاح بين الناس وجمع كلمة القبيلة وحسم مادة القطيعة، وتوجه الإمام إلى بعض رعيته لذلك)[٢]، وقال ابن بطال – رحمه الله– : (وفيه ما كان عليه النبي ﷺ من التواضع والحرص على قطع الخلاف وحسم دواعي الفرقة عن أمته كما وصفه الله عز وجل)[٣] .

٨ـ أن إصلاح ذات البين من الصدقات.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس، يعدل بين الناس صدقة)[٤]

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب: قول الإمام لأصحابه: اذهبوا بنا نصلح ، حديث: (٢٦٩٣).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي العسقلاني، (مرجع سابق)، (٢/ ٢١٩).

(٣) شرح صحيح البخاري، ابن بطال أبو الحسن بن علي خلف، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، (٨/ ٨٤)، الناشر: مكتبة الرشد- الرياض، ط:١، السنة:١٤٢٠هـ.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الصلح ، باب: فضل الإصلاح بين الناس والعدل بينهم، حديث:(٢٧٠٧).

، قال الهيتمي – رحمه الله – : (فتأمل قوله (تعدل بين الناس)، حيث جعل الصلح بين الإثنين على سبيل العدل صدقة تعلم ما في الصلح من الفوائد العظيمة، وأنه صدقة عليهما)[١]، ومما يقرر أهمية إصلاح ذات البين؛ ولو بكلمة طيبة حديث عدي بن حاتم ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجد فبكلمة طيبة)[٢].يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : (قال ابن هبيرة : المراد بالكلمة الطيبة هنا يدل على هدى أو يرد عن ردي أو يصلح بين اثنين أو يفصل بين متنازعين أو يحل مشكلاً أو يكشف غامضاً أو يدفع ثائراً أو يسكن غضباً)[٣].

٩- مدح من يقوم بالإصلاح بين الناس.

فخُلق الإصلاح بالعموم خلُق رفيع، وعمل جليل، لاسيما إن كان هذا الإصلاح في تنازع الناس وما يقع منهم من الخصومة والعداوة؛ ولهذا وصف النبي ﷺ من يقوم بهذا العمل النبيل بالسيادة؛ لأنه ينفع الناس، فقال عليه السلام في وصف الحسن بن علي ﷺ : (إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)[٤]. يقول شيخ

---

(١) أسنى لمطالب، الهيتمي، (مرجع سابق) ، (ص٢٨٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الادب، باب الكلام وقال أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ الكلمة الطيبة صدقة، حديث: (٦٠٢٣).

(٣) فتح الباري، ابن حجر ، (مرجع سابق) ، (١١/ ٤٩٣).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الصح، باب : قول النبي ﷺ للحسن بن علي ﷺ ... ، حديث: (٢٧٠٤) .

الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : (وأثنى النبي ﷺ على الحسن بهذا الصلح الذي كان على يديه وسماه سيدا بذلك؛ لأجل أن ما فعله الحسن يحبه الله ورسوله، ويرضاه الله ورسوله)(١)، وقال أيضاً : (وهذا النص الصحيح الصريح يبين أن ما فعله الحسن محمود، ومرضي لله ورسوله)(٢). وقال الحافظ – رحمه الله –: (فيه فضل الإصلاح بين الناس، ولاسيما في حقن دماء المسلمين)(٣).

١٠- إصلاح ذات البين من الشفاعة الحسنة.

من الأمور المرغب بها في الشرع الشفاعة الحسنة، لجلب منفعة أو دفع مضرة، وهي من المترتب عليها الأجر القويم والثواب الجزيل، يقول الله ﷻ : ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [النساء: ٨٥] . يقول البغوي – رحمه الله – : (قال ابن عباس رضي الله عنهما: الشفاعة الحسنة هي الإصلاح بين الناس، والشفاعة السيئة هي المشيء بالنميمة بين الناس، وقيل: الشفاعة الحسنة هي حسن القول في الناس ينال به الثواب والخير، والسيئة هي: الغيبة وإساءة القول في الناس ينال

---

(١) مجموع الفتاوى ، (مرجع سابق) ، (٣٥/ ٧٠) .
(٢) المرجع السابق ، (٣٥/ ٧٠).
(٣) فتح الباري، ابن حجر ، (مرجع سابق) ، (١٣/ ٨٤) .

به الشر.)[1] قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – بعد ما ساق التفسيرات الواردة في المراد من الشفاعة الحسنة: (وفسرت الشفاعة بالإصلاح بين اثنين، وكل هذا صحيح)[2] .

❁❁❁

(١) معالم التنزيل، أبو محمد بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد النمر وآخرون، (٢/ ٢٥٦)، الناشر: دار طيبة، ط:٤ ، السنة : ١٤١٧ه .

(٢) مجموع الفتاوى ، (مرجع سابق) ، (٧/ ٦٥) .

المبحث الثاني:
ضوابط إصلاح ذات البين وأهدافه.

من المعلوم أن الشريعة الإسلامية تقوم على ضبط لأحكامها وضبط لأفرادها، فهي شريعة محكمة التنزيل، جامعة لكل خير ورشاد، مانعة عن كل شر وإفساد، ولهذا شرّعت الضوابط؛ لتحكم سير المسلم ومرجعيته، وجعلت لتلك التشريعات أهدافاً ابتغت الوصول إليها، وحث المسلمين على السعي لتحصيلها، ومن ذلك إصلاح ذات البين، الذي حدّدت فيه ضوابط وجعلت من القيام به أهدافاً تكون غاياته عظيمة على الأفراد والمجتمعات، وفي هذا المبحث بيان لتلك الضوابط وبعض الأهداف التي ينبغي مراعاتها في إصلاح ذات البين.

أولاً: ضوابط إصلاح ذات البين.

الضابط في اللغة: اسم فاعل من ضَبَطَ، والضبط لزوم الشيء وحبسه، وضبط الشيء حفظه بالحزم، والرجل ضابط، أي حازم[1]. والضبط الإتقان والإحكام، والرجل ضابط أي حازم أو متقن، وقيل ضبطت البلاد إذا قمت بأمرها قياماً حازماً محافظاً عليها[2].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، (٧/ ٣٤٠)، تهذيب اللغة، الأزهري (١١/ ٣٣٩)، أساس البلاغة، الزمخشري (ص ٣٧٠).

(٢) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (١١/ ٣٣٩)، أساس البلاغة، الزمخشري، (ص٣٧٠).

والمقصود؛ أن إصلاح ذات البين حتى يكون إصلاحاً وعملاً حسناً لابد له من حدود حازمة متقنة، تمنع القائم بالإصلاح بين الناس من الوقوع في المحرم، أو تجاوز الحد في الإصلاح المشروع، أو توهمه إصلاح ذات البين، وهو يفسد أكثر مما يصلح، فلا صلاح إلا بما شرع الله ﷻ، ولا تآلف على التعدي على حدود الله ﷻ وشرعه، يقول الطبري – رحمه الله – : (وأما قوله : ﴿ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [البقرة: ٢٢٤] فهو الإصلاح بينهم بالمعروف فيما لا مأثم فيه، وفيما يحبه الله دن ما يكرهه)[١].

ومن أبرز الضوابط:

١- **أن لا يكون في حق من حقوق الله ﷻ .**

فحق الله ﷻ لا مجال للصلح، ولا مدخل فيه إلا في إقامته، يقول ابن القيم – رحمه الله – : (والحقوق نوعان: حق الله، وحق الآدمي؛ فحق الله لا مدخل للصلح فيه كالحدود والزكوات والكفارات ونحوها، وإنما الصلح بين العبد وربه في إقامتها، لا في إهمالها، ولهذا لا يقبل بالحدود، وإذا بلغت السلطان فلعن الله الشافع والمشفوع، وأما حقوق الأدميين فهي التي تقبل الصلح والإسقاط والمعاوضة عليها)[٢].

---

(١) تفسير الطبري، (مرجع سابق) ، (٤/ ١٣) .

(٢) أعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام، (ص٨٢)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ.

والعمدة في هذا الضابط ما ورد من حديث عائشة ﵂ قالت: أن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم رسول الله ﷺ، ومن يجرؤ عليه إلا أسامة ﵁ ، حب رسول الله ﷺ ، يكلم رسول الله ﷺ، فقال: (أتشفع في حد من حدود الله؟) ثم قام فخطب، قال: (يا أيها الناس، إنما ضل من كان قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها)[1] يقول الهيتمي– رحمه الله –: "فتأمله لتحذر أن تتسبب في صلح وفيه إسقاط حد الله تعالى تحتم ولم يقبل الشفاعة، أو أن تغري بين متخاصمين حتى يزداد الشنآن بينهما، وتأمل أنك إن فعلت ذلك كنت في سخط الله تعالى حتى تتركه"[2].

٢- أن لا يحل ما حرم الله ﷻ أو يحرم ما أحل الله ﷻ

المقصود من إصلاح ذات البين، إظهار الحق، وإزالة مظاهر النزاع، ونشر المودة والوئام بين الناس، بشرط أن يكون هذا الإصلاح مشروعاً في مشروع، فلا يصح أن يترتب على الصلح تحريم ما أحله الله ﷻ أو تحليل ما حرمه، وإلا فيكون باطلاً شرعا وعقلاً، كما في حديث

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب: كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، ح: ٦٧٨٨.

(٢) أسنى المطالب في صلة الأقارب، ابن حجر الهيتمي، (مرجع سابق)، (ص٢٨٧).

أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (الصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحاً أحل حراماً، أو حرّم حلالاً)[١]. يقول ابن سعدي – رحمه الله – : (يدخل فيه كل صلح لا محذور فيه)[٢]. وقال ابن القيم – رحمه الله –: (والصلح الذي يحل الحرام ويحرم الحلال كالصلح الذي يتضمن تحريم بضع حلال، أو إحلال بضع حرام، أو إرقاق حر، أو نقل نسب أو ولاء عن محل إلى محل، أو أكل ربا، أو إسقاط واجب، أو تعطيل حد، أو ظلم ثالث، وما أشبه ذلك؛ فكل هذا صلح جائر مردود)[٣]. ويقول الشوكاني – رحمه الله –: (والصلح الذي يحرم الحلال كمصالحة الزوجة للزوج على ألا يطلقها، أو لا يتزوج عليها، أو لا يبيت عند ضرتها، والذي يحلل الحرام، كأن يصالحه على وطء أمة لا يحل له وطؤها، أو أكل مال لا يحل له أكله)[٤].

---

(١) صحيح ابن حبان، ابن حبان البستي، تعليق: محمد بن ناصر الدين الألباني، كتاب الصلح، باب: ذكر الأخبار عن جواز الصلح بين المسلمين مالم يخالف الكتاب والسنة والإجماع، ٠٧/ ٣٦٥)، حديث رقم: ٥٠٦٩ قال الألباني: حسن صحيح.

(٢) المختارات الجلية من المسائل الفقهية، ابن سعدي، (ص١٢٢)، ط: الرئاسة العامة لإدارات البحوث، الرياض، ط:٢، السنة:١٤٠٥ه.

(٣) أعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية، (مرجع سابق)، (ص٨٣).

(٤) نيل الأوطار، الشوكاني، (مرجع سابق)، (٣/ ٦٨٤).

٣- العدل بين المتخاصمين.

العدل من أعظم الأعمال التي ينبغي للمصلح بين الناس أن يراعيه، وهو أساس الإصلاح، وما يحصل من فساد بين المتخاصمين إنما يقع بسبب عدم التناصف، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: (إنما تقع الفتن لعدم المعادلة والتناصف بين الطائفتين، وإلا مع التعادل والتناصف الذي يرضى به أولو الألباب لا تبقي فتنة)[1]. وهو الذي جاء الأمر به في قوله ﷻ: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات: ٩] .

قال ابن القيم – رحمه الله – : (وكثير من الناس لا يعتمد العدل في الصلح ، بل يصلح صلحا ظالما جائرا ، فيصالح بين الغريمين على دون الطفيف من حق أحدهما ،... وقد أمر الله سبحانه بالإصلاح بين الطائفتين المقتتلتين أولاً فإن بغت إحداهما على الأخرى فحينئذ أمر بقتال الباغية لا بالصلح فإنها ظالمة، ففي الإصلاح مع ظلمها هضم لحق الطائفة المظلومة، وكثير من الظلمة المصلحين يصلح بين القادر الظالم والخصم الضعيف المظلوم بما يرضي به القادر صاحب الجاه، ويكون له فيه الحظ، ويكون الإغماض والحيف فيه على الضعيف، ويظن أنه قد أصلح، ولا يمكن المظلوم من أخذ حقه، وهذا ظلم، بل يمكن المظلوم من استيفاء

---

(١) مجموع الفتاوى، (مرجع سابق)، (١٤/ ٧٨).

حقه، ثم يطلب إليه برضاه أن يترك بعض حقه بغير محاباة لصاحب الجاه، ولا يشتبه بالإكراه للآخر بالمحاباة ونحوه)[١]. وقال ابن سعدي – رحمه الله –: (وهذه الإصلاحات إذا وقعت عادلة لا جور فيها على واحد من الطرفين، وأحسن الداخل فيها الطريق الموصلة إلى ذلك حصل المقصود بسرعة وانحسم الشر، فإذا دخلها الهوى والظلم على أحد الطرفين أو سلكت طرق لا توصل إليها تعكست ولم يحصل منها المقصود، وإن حصل فما أسرع زواله؛ ولهذا أمر الله ﷻ بالإصلاح بالعدل والإحسان والله أعلم)[٢]. ويقول العز بن عبد السلام – رحمه الله –:(العدل في إصلاح ذات البين إحسان إلى الطائفتين)[٣]؛ فترك العدل سبب للبغي والتنازع، والواجب للمصلح أن يكون إصلاحه بين الناس بالعدل والقسط، وألا يبغي لطائفة على أخرى، أو يميل لفرد على حساب الآخر.

٤- التراضي بين المتخاصمين بدون إلزام.

مما يجب مراعاته في إصلاح ذات البين التراضي بين المتنازعين وعدم الإلزام، مالم يكن هناك بغي من أحد المتنازعين، يقول ابن رشد –

---

(١) أعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية، (مرجع سابق)، (ص٨٣).

(٢) إرشاد أولى البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب، ابن سعدي، تحقيق: أشرف عبد المقصود، (ص٢٠٠)، ط: أضواء السلف، ط: ١، السنة: ١٤٢٠هـ.

(٣) شجرة المعارف، العز بن عبد السلام، (مرجع سابق)، (ص٢٠٤).

رحمه الله -: (وإذا أشار الإمام على المتخاصمين بالصلح، وندبا إليه، وحضهما عليه، فأبيا أو أبى أحدهما، فلا يجبرهما عليه، ولا يلح عليهما فيه إلحاحاً يشبه الإلزام)[1]. وقال ابن القيم – رحمه الله -: (فالصلح الجائز بين المسلمين هو الذي يعتمد فيه رضا الله سبحانه ورضا الخصمين ؛ فهذا أعدل الصلح وأحقه، وهو يعتمد العلم والعدل؛ فيكون المصلح عالما بالوقائع، عارفا بالواجب، قاصدا للعدل، فدرجة هذا أفضل من درجة الصائم القائم)[2]. فالتراضي بين الخصمين من الضوابط التي ينبغي مراعاتها في إصلاح ذات البين، مالم يخالف شرع الله ﷻ، فلا يصح إلزامهم بقوانين أو عادات ترجع إلى ما تحكمهم فيه القبيلة أو العشيرة، أو ما وجدوه في آبائهم الاولين، يقول الشيخ بن باز – رحمه الله - : (أما الصلح فلا بأس به من غير إلزام، فإذا أصلح شيخ القبيلة، أو أحد أفراد القبيلة وأعيانها بين متخاصمين صلحا لا يخالف شرع الله، بأن أشاروا على هذا بأن يسقط بعض حقه، وهذا بأن يتسامح عن بعض حقه، وهذا بأن يعفو: فلا بأس بهذا، أما أن يلزموهم بقوانين ترجع إلى أسلافهم

---

(١) المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات والتحصيلات المحكمات لأمهات مسائلها المشكلات، ابن رشد، (مرجع سابق)، (٢/ ٥١٧).

(٢) أعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية، (مرجع سابق)، (ص٨٣).

وآبائهم فهذا لا يجوز، أما الصلح بالتراضي على أن هذا يسمح عن بعض حقه، أو يسمح عن سبه لأخيه، أو ما أشبه ذلك، فهذا لا بأس به)[١].

٥- **عدو الإضرار بصاحب الحق.**

من الضوابط التي ينبغي مراعاتها في إصلاح ذات البين، عدم الإضرار بصاحب الحق أو التعدي عليه بجرّه لصلح يتضمن هضماً أو غبناً أو غرراً به وغشاً، لاسيما مع الضعفاء والفقراء وأهل العوز والعمال، يقول ابن القيم – رحمه الله –: (وقد أمر الله سبحانه بالإصلاح بين الطائفتين المقتتلتين أولا فإن بغت إحداهما على الأخرى فحينئذ أمر بقتال الباغية لا بالصلح فإنها ظالمة، ففي الإصلاح مع ظلمها هضم لحق الطائفة المظلومة، وكثير من الظلمة المصلحين يصلح بين القادر الظالم والخصم الضعيف المظلوم بما يرضي به القادر صاحب الجاه، ويكون له فيه الحظ، ويكون الإغماض والحيف فيه على الضعيف، ويظن أنه قد أصلح، ولا يمكن المظلوم من أخذ حقه، وهذا ظلم، بل يمكن المظلوم من استيفاء حقه، ثم يطلب إليه برضاه أن يترك بعض حقه بغير محاباة لصاحب الجاه، ولا يشتبه بالإكراه للآخر بالمحاباة ونحوها)[٢]. وقال عبد الله آل محمود – رحمه الله –: (وقد ذكر العلماء بأن الذين يتوسطون

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، بن باز، جمع: محمد الشويعر، ط: رئاسة البحوث العلمية، الرياض، ط:٣، السنة/ ١٤٢١هـ (٤/ ٢٩).

(٢) أعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية، (مرجع سابق)، (ص٨٣).

بالإصلاح بينن المتنازعين، والقسم بين المتشاركين، بأنهم بمثابة القضاة، بحيث إنه يجب العدل والمساواة...، ومن لوازم القائم بالإصلاح بين المتنازعين بالعدل أن يردع الطامع في مجاوزة حده، وطمعه في حق غيره، فيصرح له بخطئه واعتدائه)[1].

٦ـ مراعاة الوسائل المشروعة وعدم الابتداع.

فالصلح القائم على الوسائل المبتدعة والمنحرفة عن سبيل الله وأمره لا خير فيها؛ بل هي ضرر يشمل المتنازعين ويزيدهم تخاصماً، فشرع الله ﷻ هو الحكم في إصلاح ذات البين، وليست العادات والأعراف التي تتضمن ما

توارثه الأبناء وأفراد القبيلة، مما لا يتوافق مع الكتاب والسنة.

يقول الله ﷻ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥] .ولما جاء من حديث عائشة ﵂: قالت: قال سول الله ﷺ : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد)[2].يقول ابن حجر – رحمه الله – : " ويستفاد من الحديث أن كل شرط وقع في رفع حد من حدود

---

(١)الحكم الجامعة لشتى العلوم النافعة، عبد الله آل محمود، (ص٤٩٨-٤٩٩)، الناشر: بدون، السنة: ١٣٩٩ه.

(٢)صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، حديث رقم: ٢٦٩٧.

الله فهو باطل، وكل صلح وقع فهو مردود)[١]. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: (وليس من شرط طلب العفو من المظلوم أن الظالم يقوم على قدميه، ولا يضع نعليه على رأسه، ونحو ذلك مما قد يلزمه بعض الناس؛ وإنما شرطه التمكين من نفسه حتى يستوفى منه الحق، فإذا أمكن المظلوم من استيفاء حقه فقد فعل ما وجب عليه، ثم المستحق بالخيار إن شاء عفا وإن شاء استوفى)[٢].

وعلى هذا فيجب الحذر من الابتداع عند الإصلاح بين الناس، والتقيد بما أمرت به الشريعة الإسلامية، فكل خير في إتباعها، وكل شر في اجتنابها، والخير والفلاح في أمر الله ﷻ وصلاحه.

٧ـ عدم وصف التارك للعفو بصفات الذم.

فالمشروع للقائم بالإصلاح بين الناس أن يبذل ما يستطيع لإصلاح ذات البين، فإذا أصر المحق منهما على عدم التنازل عن حقه، وطلب استيفاءه من الآخر، فلا يصح ذمه، يقول ﷻ: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ [النحل: ١٢٦]. قال البغوي – رحمه الله – : (هذه الآية نزلت بالمدينة في شهداء أحد وذلك أن المسلمين لما رأوا ما فعل المشركون يقتلاهم يوم أحد، من تبقير البطون، والمثلة السيئة؛ حتى لم يبق أحد من قتلى المسلمين

---

(١) الفتح، ابن حجر، (مرجع سابق)، (٥/ ٣٩٧).

(٢) الفتاوى، (مرجع سابق)، (١١/ ٥٥٠).

إلا مثل به غير حنظلة بن الراهب فإن أباه أبا عامر الراهب كان مع أبي سفيان، فتركوا حنظلة لذلك، فقال المسلمون حين رأوا ذلك: لئن أظهرنا الله عليهم لنريدن على صنيعهم، ولنمثلن بهم مثلة لم يفعلها أحد من العرب بأحد ﷻ فوقف رسول الله ﷺ على عمه حمزة بن عبد المطلب ﷺ وقد جدعوا أنفه وأذنه، وقطعوا مذاكيره وبقروا بطنه، وأخذت هند بنت عتبة قطعة من كبده فمضغتها...، فقال النبي ﷺ : (رحمة الله عليك فإنك ما علمت ما كنت إلا فاعلاً للخيرات، وصولاً للرحم، ولولا حزن ما بعدك عليك لسرني أن أدعك حتى تحشر من أفواج شتى، أما والله لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين منهم مكانك)، فأنزل الله ﷻ : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾، والشاهد هنا قوله تعالى: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ﴾ أي: ولئن عفوتم لهو خير للعافين، فقال النبي ﷺ : (بل نصبر، وأمسك عما أراد وكفَّر عن يمينه)[1]. بقول شيخ الإسلام – رحمه الله –: (وإذا طلب من المظلوم العفو بعد اعتراف الظالم فأجاب: كان من المحسنين الذين أجرهم على الله وإن أبى إلا طلب حقه لم يكن ظالما لكن يكون قد ترك الأفضل الأحسن فليس لأحد أن يخرجه عن أهل الطريق بمجرد ذلك كما قد يفعله كثير من الناس...، ثم أكثر هؤلاء الذين يذمون تارك العفو إنما يذمونه لأهوائهم لكون الظالم صديق أحدهم أو وريثه أو قرينه ونحو ذلك)[2].

---

(١) تفسير البغوي، محمد البغوي، (١/ ٥٤)، الناشر: دار طيبة، ط: ١، الرياض.

(٢) الفتاوى، (مرجع سابق)، (١١/ ٥٤٨).

وقال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – عنج حديثه عن حديث بريرة – رضي الله عنها – وما فيه من الفوائد: (وفيه أن المرء إذا خير بين مباحين فآثر ما ينفعه لم يلم ولو أضر ذلك برفيقه)[1].

٨- جبر قلوب الخصوم وتطيب خواطرهم.

فإصلاح ذات البين قائم على العدل، الذي منه تطيب الخواطر المكسورة، قال الطاهر بن عاشور – رحمه الله –: عند تفسيره لقوله ﷻ: ﴿فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ﴾ [الحجرات: ٩] ، وهذا إصلاح ثان بعد الإصلاح المأمور به ابتداءً، ومعناه: أن الفئة التي خضعت للقوة وألقت السلاح تكون مكسورة الخاطر شاعرة بانتصار الفئة الأخرى عليها، فأوجب على المسلمين أن يصلحوا بينهما بترغيبهما على إزالة الإحن والرجوع إلى أخوة الإسلام لئلا يعود التنكر بينها)[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: (فهكذا ينبغي لولي الأمر في قسمه وحكمه...، وإذا حكم على شخص فإنه قد يتأذى، فإن الناس دائما يسألون ولي الأمر ما لا يصلح بذله من الولايات والأموال والمنافع والأجور والشفاعة في الحدود وغير ذلك فيعوضهم من جهة أخرى إن أمكن أو يردهم بميسور من القول ما لم يحتج إلى الإغلاظ ؛ ... وإذا حكم على شخص فإنه قد يتأذى فإذا طيب نفسه بما يصلح من

---

(١) الفتح، ابن حجر، (مرجع سابق)، (٥/ ٥١١).

(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، (مرجع سابق)، (٢٦/ ٢٤٢).

القول والعمل كان ذلك تمام السياسة وهو نظير ما يعطيه الطبيب للمريض ؛ من الطب الذي يسوغ الدواء الكريه، ... فإن النفوس لا تقبل الحق إلا بما تستعين به من حظوظها التي هي محتاجة إليها...)[١] .

٩- مراعاة الآثار المترتبة على إصلاح ذات البين.

إصلاح ذات البين من الأعمال المشروعة، التي أواجب الإسلام القيام به، والسعي لتحصيله، ومع هذا التأكيد؛ رعى الآثار التي تترتب عليه، فمنع القائم به أن يؤدي إصلاحه لذات البين إلى منكر أو فساد أعظم منه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: (فالمتنقل من معصية إلى معصية أكبر منها كالمستجير من الرمضاء بالنار، والمتنقل من معصية إلى معصية كالمتنقل من دين باطل إلى دين باطل، وقد يكون الثاني شراً من الأول...) [٢]. وقال ابن الجوزي – رحمه الله –: (النظر في العواقب وفيما يجوز أن يقع شأن العقلاء، فأما النظر في الحالة الراهنة فحسب فحالة الجهلة الحمقى)[٣]. وعلى هذا فينبغي لمن يقوم بالإصلاح

---

(١) السياسة الشرعية، ابن تيمية، (ص١٠٨-١٠٩)، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية، الرياض، السنة:١٤١٩ه.

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ابن تيمية، (ص٢١)، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية، الرياض، السنة:١٤٠٨ه.

(٣) صيد الخاطر، أبو الفرج ابن الجوزي، تحقيق: عبد الرحمن البر، (ص٥٤٢)، الناشر: دار اليقين ، القاهرة، ط:٣، السنة:١٤١٩ه.

بين الناس الحذر من أن يقع في إصلاح يؤدي مفسدة أعظم منه، فإن من القواعد الشرعية المعلومة تحمل أدنى المفسدتين لدرء أعلاهما [١].

ثانيا: أهداف إصلاح ذات البين.

تعددت الأهداف من إصلاح ذات البين، وتنوعت المصالح التي تتحقق من هذا العمل القيَّم على الأفراد والمجتمعات، فغايات إصلاح ذات البين من شعائر الدين التي أمر الله بها ورسوله ﷺ، والتي بها تجتمع القلوب وتلتئم النفوس، وينتشر بها الأمن، وتُحقن الدماء، وتسود روح الأخوة بين الجميع، فهو من أرفع الواجبات، وأعظم أعمال المعروف، وخير ما يقدمه المسلم لنفسه من الأعمال الصالحة.

ومن أبرز أهداف إصلاح ذات البين:

١- تحقيق أخوة الدين.

الأخوة في الإسلام رباط عظيم لإقامة شعائر الدين، ولهذا أمرت الشريعة الإسلامية بها، وحثت عليها، ومنعت كل الأسباب التي ينتج عنها تعطيل هذا الرابط، قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ١٠]. يقول الطاهر بن عاشور – رحمه الله: (تعليل لإقامة الإصلاح بين المؤمنين إذا استشرى الحال بينهم، فالجملة موقعها موقع العلة، وقد بني هذا التعليل

---

(١) انظر: الأشباه والنظائر، لابن النجيم، (ص٨٩)، الأشباه والنظائر، للسيوطي، (ص٨٧).

على اعتبار حال المسلمين بعضهم مع بعض كحال الإخوة،.. ولما كان المتعارف بين الناس أنه إذا نشبت مشاقة بين الأخوين لزم بقية الإخوة أن يتناهضوا في إزاحتها مشيا بالصلح بينهما فكذلك شأن المسلمين إذا حدث شقاق بين طائفتين منهم أن ينهض سائرهم بالسعي بالصلح بينهما وبث السفراء إلى أن يرفعوا ما وهى، ويرفعوا ما أصاب ودهى) [١] .فالأخوة بين المسلمين هي نتاج صلاح ذات البين، الذي منه إعطاء الحقوق، وبذل المعروف، يقول ابن سعدي – رحمه الله – : (لقد أمر الله ورسوله، بالقيام بحقوق المؤمنين، بعضهم لبعض، وبما به يحصل التآلف والتودد، والتواصل بينهم، كل هذا، تأييد لحقوق بعضهم على بعض، فمن ذلك، إذا وقع الاقتتال بينهم، الموجب لتفرق القلوب وتباغضها ،... فليصلح المؤمنون بين إخوانهم، وليسعوا فيما به يزول شنآنهم)[٢]. فالشريعة الإسلامية تهدف إلى جمع الكلمة، ونشر المحبة والأخوة بين المسلمين، وإخراج ما في قلوبهم من الضغائن والأحقاد والعداوات التي تورث التنازع والتقاطع والخرب.

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (مرجع سابق)، (ص٢٤٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ابن سعدي، تحقيق عبد الرحمن اللويحق، (ص٩٥٤). الناشر: دار السلام، الرياض، ط: ٢، السنة:١٤٢٢ه.

٢ـ وحدة المسلمين وقوة شوكتهم

من أهم المقاصد الشرعية التي جاء بها الإسلام توحد المسلمين وقوة شوكتهم، ولا يمكن أن تقوم هذه القوة من غير إصلاح ذات البين، الذي فيه فك للمنازعات والخصومات بين أفرادها، (فالنزاع سبب لتفرقة الأمة واختلافها مما يغري العدو بها فيتمكن منها ويسيطر عليها، سواء أكان عدواً ظاهراً أو كان عدواً مستتراً كالشيطان، ولذلك أمر الله بالسعي لإصلاح ذات البين وعده من علامات الخير)[١]. يقول ابن سعدي – رحمه الله – : (ومن أسباب النصر والصبر والثبات: اتفاق القلوب، وعدم التفرق والتنازع، فإن ذلك محلل للقوة، موجب للفشل، وأما اجتماع الكلمة، وقيام الألفة بين المؤمنين، واتفاقهم على إقامة دينهم وعلى نصره فهذا أقوى القوى المعنوية التي هي الأصل، والقوة المادية تبع لها، والكمال: الجمع بين الأمرين كما أمر الله بذلك)[٢]. ويقول الشوكاني – رحمه الله –: (ائتلاف قلوب المؤمنين هو من أسباب النصر التي أيد الله بها رسولهﷺ)[٣].

---

(١) انظر: بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، ابن سعدي، (ص٦٣)، تحقيق: أشرف عبد المقصود، لناشر: دار الريان، القاهرة، ط: ١، السنة: ١٤٠٨ه.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ابن سعدي، (مرجع سابق)، (ص١٤٢).

(٣) فتح القدير، الشوكاني، (مرجع سابق)، (٢/ ٣٢٢).

والمتتبع للسيرة النبوية يجد أن النبي ﷺ كان حريصاً على تهدئة النفوس، وبذل الأسباب التي تؤلف بين القلوب، ومنع كل ما يؤدي إلى المنازعات بين الصحابة ﷺ ؛ لأهمية ذلك في انتشار الإسلام، وبلوغ أهدافه، وهذا ما كان واضحاً جلياً في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وإزالة ما بين الأنصار من العداوة والثارات، وبذلك حمى المجتمع المسلم من أساب الفرقة، فأحكم بنيانه، ورص صفوفه[١].

٣- إقامة شعائر الإسلام.

إصلاح ذات البين يهدف إلى إقامة الشعائر الإسلامية، ولا يمكن لحالة المنازعات والخصومات أن تقام فيها العبادات وتستقر فيها الأخلاق والقيم، فحالة الخوف والترصد وابتغاء التعدي والانتقام تزعزع المجتمع الإسلامي، فلا تقام الصلاة ولا يجتمع الناس للحج، لأنها عبادات قائمة على الاجتماع، يقول القاضي عياض – رحمه الله –: (ونهيه عن الهجرة وتأكيده في ذلك؛ لأنها على الجملة بين محرمة، والألفة واجبة، وفي تقاطعهم فساد أمرهم، وانحلال عقدهم، واضطراب أمر دينهم ودنياهم)[٢]. ويقول ابن سعدي – رحمه الله–: (فإنَّ في اجتماع

---

(١) انظر: الرحيق المختوم صفي الدين المبار كفوري، (ص٢٦٣)، الناشر: دار الكتاب والسنة، كراتشي – باكستان.١

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، عياض اليحصبي، تحقيق: يحيى إسماعيل، (٨/ ٣٠)، الناشر: دار الوفاء، الرياض، ط:١، السنة:١٤٠٩ه

المسلمين على دينهم، وائتلاف قلوبهم يصلح دينهم وتصلح دنياهم، وبالاجتماع يتمكَّنون مِن كلِّ أمر مِن الأمور، ويحصل لهم مِن المصالح التي تتوقَّف على الائتلاف ما لا يمكن عدُّها، مِن التَّعاون على البرِّ والتَّقوى، كما أن بالافتراق والتعادي يختل نظامهم وتنقطع روابطهم ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه، ولو أدى إلى الضرر العام)[1]. ففي اجتماع الكلمة وصلاح ذات البين، تنمو القيم، وتسعد النفوس، فالكرم والحياء والبر وبذل المعروف وعيرها من الأخلاق لا تجد لها طريقاً في ظل التنازع والعداوات والكره، فكيف تستقيم الحياة الزوجية في ظل الشحناء والبغضاء؟! وكيف يبرَّ الأخ أخاه بدون المودة والرحمة؟![2].

٤- انتظام الأسرة المسلمة.

من المقاصد الشريعة التي أكد عليها الإسلام، وشرّع الشرائع من أجلها؛ انتظام الأسرة المسلمة وديمومتها، ومنع كل الأسباب ابتي تؤدي بها إلى التفرق والسقوط، فاجتماع الأسرة المسلمة هدف عظيم لا يتأتى إلا بإصلاح ذات البين، يقول الطاهر بن عاشور – رحمه الله-: (انتظام أمر العائلات في الأمة أساس حضارتها، وانتظام جامعتها؛

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ابن سعدي، (مرجع سابق)، (ص١٤٢).

(٢) انظر: موسوعة القيم، (مرجع سابق)، (٧/ ١١).

فلذلك كان الاعتناء بضبط العائلة من مقصد الشرائع البشرية كلها)[١]. فصلاح الأسرة طريق أمان للجماعة كلها، ولا يمكن أن ينصلح حال مجتمع أفراد الأسرة فيه متنافرين متقاطعين.

يقول الشيخ بن باز – رحمه الله –: (ومما لا شك فيه أن البيت الذي تسوده المودة والمحبة والرأفة والتربية الإسلامية سيؤثر على الرجل، فيكون بإذن الله موفقاً في أمره، ناجحاً في أي عمل يسعى إليه من طلب علم أو كسب وتجارة أو زراعة إلى غير ذلك من أعمال)[٢]. ويقول الشيخ صالح بن حميد: (... فإن الشيطان حين يفلح في فك روابط أسرة فهو لا يهدم بيتاً واحداً ولا يحدث شراً محدوداً، وإنما يوقع الأمة جمعاء في أذى مستعر وشر مستطير، والواقع المعاصر خير شاهد)[٣]. فالترابط الأسري سبب لتفوق أفرادها، وسبب اجتماعهم على الخير، وتفكك الأسرة سبب للانحراف، وطريق لفساد أفرادها.

---

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية، الطاهر بن عاشور، تحقيق: محمد بن الخوجة، (٣/ ٤٢١)، الناشر: وزارة الأوقاف القطرية، ط:١، السنة:١٤٢٥ه

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، بن باز، (مرجع سابق)، (٣/ ٣٥٠).

(٣) البيت السعيد، صالح بن حميد، (١٩-٢٠)، الناشر: در بلنسية، ط:٢، السنة:١٤١٩ه.

٥- تحقيق السلم الاجتماعي.

إصلاح ذات البين يقطع الخصومة وينهي العداوات، ويسهم في تحقيق السلم الاجتماعي، ويرسِّخ الأمن بين أفراد المجتمع، فهو سبيل لاستئصال الأحقاد، ويؤلف بين القلوب المتنافرة، ويضع حداً للآثار التي تتركها الخصومات في النفوس، والتي تبقى آثارها في القلوب بعد الحكم القضائي، يقول السرخسي – رحمه الله –: (وفيه دليل أن القاضي لا ينبغي له أن يعجل، وأنه مندوب إلى أن يرد الخصوم ليصطلحوا على شيء، ويدعوهم إلى ذلك، فالفصل بطريق الصلح يكون أقرب إلى بقاء المودة، والتحرز عن النفرة بين المسلمين)[1].

فالصلح بين المتنازعين أفضل من الذهاب للمحاكم لفض التنازع، وأخذ الحقوق بالإلزام، فحكم القاضي عادة لا يقضي على بقاء العداوة بين المتخاصمين، لاسيما وأن القاضي قد يقضي بخلاف الحق؛ لأنه بشر يعتريه الخطأ، وهو يحكم بما يسمع، ولعل بعض الخصوم لديه القدرة على التلبيس عليه بقوة منطقه، ويكون ألحن في حجته، فتضيع الحقوق، وتنتشر العداوة بين المتنازعين، فيكيد بعضهم لبعض، قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : (فالأقسام أي التي يتوصل بها إلى وصول الحقوق وقطع المخاصمة أربعة : إما فصل بصلح فهذا هو الغاية؛

---

(١) المبسوط، أبو بكر السرخسي، تحقيق: سمر مصطفى، (٢٠/ ١٥٦)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:١، السنة:١٣٢٢ه.

لأنه حصل المقاصد الثلاث على التمام، وإما فصل بحكم مر فقد حصل معه وصول الحق وقطع الخصومة ولم يحصل معه صلاح ذات البين، وإما صلح على ترك بعض ما يدعى أنه حق فهذا أيضا قد حصل مقصود الصلح وقطع النزاع ولم يحصل مقصود وصول الحقوق؛ لكن ما يقوم مقامه من الترك، ومن هنا يتبين أن الحكم بالصلح أحسن من الحكم بالفصل المر، لأنهما اشتركا في دفع الخصومة وامتاز ذلك بصلاح ذات البين مع ترك أحدهما لحقه وامتاز الآخر بأخذ المستحق حقه مع ضغائن فتلك المصلحة أكمل لاسيما إن كان الحق انما هو في الظاهر وقد يكون الباطن بخلافه واما لا فضل ولا صلح فهذا لا يصلح يحصل به مفسدة ترك القضاء ...)[1].

❁❁❁

(١) الفتاوى، ابن تيمية، (المرجع السابق)، ٣٥/ ٣٥٦).

المبحث الثالث:

أساليب إصلاح ذات البين وآثاره.

تعددت الأساليب التي أقرتها الشريعة الإسلامية في تحقيق إصلاح ذات البين، وتنوعت في ذلك، وقد رغّب الشرع في اختيار الأسلوب الأمثل والأكمل للوصول إلى غاية الإصلاح بين الناس، واتخاذ لكل حالة منها أسلوباً مناسباً، يصلح أن يكون سبباً لإصلاح ذات البين، فإن طبائع الناس متباينة، وعقول المتخاصمين متفاوتة، ونوازع الرغبات والأهواء ليست سواء، فقد يصلح أسلوب في حالة دون الأخرى، والحكيم القائم بمهمة إصلاح ذات البين يلزمه أن يكون على دراية بهذه الأساليب، ومعرفة بما يُذهب الأحقاد، ويقطع العداوات، ويطفئ نار الخصومة والبغضاء، لاسيما وأن استقامة المجتمع المسلم وازدهاره، وشيوع الطمأنينة فيه لا يتأتى إلا بإصلاح ذات البين، وفي هذا المبحث ذكر لبعض الأساليب التي أقرَّتها الشريعة الإسلامية في إصلاح ذات البين ، والآثار التي تترتب على هذا الخُلق العظيم في جلب المصالح للمسلمين ودفع عنهم ما يضرهم.

أولاً: من أساليب إصلاح ذات البين.

١ـ الترغيب والترهيب.

الترغيب والترهيب من الأساليب الشرعية التي وردت في القرآن والسيرة النبوية كثيراً، وهي من أنجع الأساليب؛ لاعتماده على عنصري الثواب والعقاب، اللذين علم الله ﷻ من طبيعة البشر أنهما يشكلان حافزاً قويًّا؛ للإقبال على كل ما هو نافع، والانكفاف عن كل ما هو ضار، وقد تأكد هذا الأسلوب في إصلاح ذات البين، والمراد بالترغيب هنا: كل ما يشوق الخصوم إلى الاستجابة للصلح وقبوله والثبات عليه، والترهيب: كل ما يخيف ويحذر الخصوم من عدم الاستجابة للصلح أو رفضه أو عدم الثبات عليه بعد قبوله[1]، يقول ابن سعدي – رحمه الله – : (وجعل السبب الوحيد القوي المثمر للثمرات الجليلة للدعوة إلى سبيله هو ما تضمنه هذه الآية: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل: ١٢٥] فالحكمة وضع الدعوة في موضعها، ودعاية كل أحد بحسب ما يليق بحاله ويناسبه ويكون أقرب لحصول المقصود منه والموعظة البليغة البالغة في الحسن مبلغاً، يصير لها من التأثير وسعة الانقياد ما يناسب

---

(١) الموقوف على معاني الترغيب والترهيب اللغوية والاصطلاحية، انظر: الترهيب في الدعوة في القرآن، (ص٢٦)، رقية بنت نصر الله، الناشر: دار أشبيليا، الرياض، ط:١، السنة:١٣٢٠ه

مقتضى الحال، فالموعظة بيان الأحكام مع ذكر ما يقترن بها من الترغيب في ذكر مصالحها ومنافعها وخيراتها الحاملة عليها، وذكر ما يقترن بها من الترهيب على فاعل المحرمات أو تارك الواجبات من العقوبات والخسران والحسرات وحرمان الخير العاجل والآجل)[1]. ويقول أيضا عبد الكريم زيدان – رحمه الله-في بيانه لأسلوب الترغيب والترهيب، وأهميته: (الأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة، وأن يكون الترهيب بالتخويف من غضب الله وعذابه في الآخرة، وهذا هو نهج رسل الله الكرام كما بينه القرآن الكريم، وجاءت به السنة النبوية المطهرة...، ومع أن الأصل في الترغيب والترهيب يكون بالجزاء في الآخرة، فإنه يجوز أن يكون بما يصيب المدعوين في الدنيا من خير في حالة استجابتهم وما يصيبهم من شر في حالة رفضهم)[2].

ويقول الهيتمي – رحمه الله – عند حديثه عن أهمية السعي في الإصلاح بين الناس، وما يترتب على ذلك من الواجبات والمندوبات: (أن يرغب كل منهما في الصلح ويذكر له حسن عنايته وعظيم فائدته، وأنه به ينجو من الوقوف بين يدي الحكام، المؤدي إلى شدة الخصام،

---

(١) تيسير اللطيف المنان، ابن سعدي، (مرجع سابق)، (ص٣٥٣).

(٢) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، (ص٤٣٨-٤٣٧)، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط:٣، السنة:١٤١٤ه.

الموقع في كثير من الآثام، والمزيل لحرمة الإنسان، والرافع للمرونة بين الأصدقاء والأقران، والموجب لعاره على توالي الأزمان)[١].

٢ـ العفو والتنازل.

العفو من مكارم الاخلاق التي حث عليه الشرع، وسعى لتحصيله والندب إليه في إصلاح ذات البين، فهو وإن حصل من أحد المتنازعين وممن وقعت ببينهم الخصومة؛ فله الأثر البالغ في عودة المودة والمحبة بينهما، يقول تعالى: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ [المائدة: ٤٥]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: (ومن طرق الله الصلح أن تعفو إحدى الطائفتين أو كلاهما عن بعض مالها عند الأخرى من الدماء والأموال)[٢]، والسعي في ترغيب أولياء الدم من التنازل والعفو في القصاص مندوب إليه في الشريعة الإسلامية، وهو ليس من الحدود التي نهي عن طلب الشفاعة فيها ، يقول شيخ الإسلام – رحمه الله – : (وينبغي أن يطلب العفو من أولياء المقتول، فإنه أفضل لهم، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ [المائدة: ٤٥] . قال أنس ﷺ ما رفع إلى رسول الله ﷺ أمر فيه قصاص إلا أمر فيه بالعفو...)[٣]. قال الشيخ محمد بن إبراهيم – رحمه الله –: (التصالح على أكثر من مقدار الدية الشرعية درءاً للقصاص أمر

(١) أسنى المطالب، ابن حجر الهيتمي، (مرجع سابق)، (ص٢٧٥).
(٢) الفتاوى، ابن تيمية، (مرجع سابق)، (٣٥/ ٨٦).
(٣) السياسة الشرعية، ابن تيمية، (مرجع سابق)، (ص١١٨).

شرعي)[١]. وقد جاء الندب إليه في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :(ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)[٢]، وإذا كان العفو كذلك فقد نص العلماء على أن العفو قد رغب الشارع فيه وحث ولي الدم عليه، وهو أفضل من استيفاء القصاص، قال الشوكاني – رحمه الله – : "ولا خلاف في مشروعية العفو في الجملة وإنما وقع الخلاف فيما هو الأولى للمظلوم هل العفو عن ظالمه أو الترك"[٣].

فأسلوب العفو والتنازل قد ثبتت مشروعيته في الكتاب والسنة كما تقدم، وهو من المكارم التي جاءت الشريعة بإقرارها وتنميتها، يقول محمد أبو زهرة –رحمه الله –: (كانت الثمرة الأولى لاعتبار القصاص حقاً لولي الدم أن له أن يعفو وكان ذلك تخفيفاً ورحمةً كما قال تعالى: ﴿ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ﴾ [البقـــــرة: ١٧٨])[٤].

---

(١) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، (مرجع سابق)، (١١/ ٢٨٧).

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب استحباب العفو والتواضع، حديث رقم: ٢٥٨٨.

(٣) نيل الأوطار، الشوكاني، (مرجع سابق)، (٧/ ١٧٨).

(٤) العقوبة، محمد أبو زهرة، (ص٣٩٧)، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة، ط:١، السنة: ١٩٩٧م.

٣ـ القصص وضرب الأمثال.

للقصص تأثير كبير في حياة الناس، ولذلك حرص الإسلام على العناية بالقصة؛ وهو الظاهر في كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ ؛ لما فيها من العبرة والعظة والاستئناس، يقول ﷻ : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف: ١١١] . قال الهيتمي – رحمه الله – بعد سياقه لقصة يوسف عليه السلام: (هذا حاصل هذه القصة الغريبة التي من تأملها هان عليه ما يفعله أقاربه معه، وقابلهم بالصبر والرضى حتى ظفّره الله تعالى بهم وأذلهم له وحكّمه فيهم)(١). وقد كان النبي ﷺ يقص على الصحابة رضي الله عنهم القصص التي تتضمن تنازل الخصوم عن حقهم في الخصومة، والعفو في ذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : (اشترى رجل من رجل عقارا له فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب ، فقال له : الذي اشترى العقار خذ ذهبك مني إنما اشتريت منك الأرض ولم أبتع منك الذهب ، وقال : الذي له الأرض إنما بعتك الأرض وما فيها فتحاكما إلى رجل ، فقال : الذي تحاكما إليه ألكما ولد ، قال : أحدهما لي غلام ، وقال : الآخر لي جارية ، قال : أنكحوا الغلام الجارية وأنفقوا على أنفسهما منه وتصدقا)(٢). يقول النووي – رحمه

---

(١) أسنى المطالب، ابن حجر الهيتمي، (مرجع سابق)، (ص٣٠٨).

(٢) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، ح: ٣٤٧٢ ، صحيح مسلم، ح: ١٧١٢.

الله – :(فيه فضل الإصلاح بين المتنازعين)[١]. قال ابن حزم – رحمه الله – : (ومما ينجع في الوعظ أيضاً الثناء بحضرة المسيء على من فعل خلاف فعله، فهذا داعية إلى عمل الخير، وما أعلم لحب المدح فضلاً إلا هذا وحده، وهو أن يقتدي به من يسمع الثناء، ولهذا يجب أن تؤرخ الفضائل والرذائل لينفر سامعها عن القبيح المأثور عن غيره، ويرغّب في الحسن المنقول عن من تقدمه، ويتعظ بما سلف)[٢].

وفي ضرب الامثال، استخدم الإسلام هذا الأسلوب وازعاً للخير، داعياً لبذل المعروف، نادباً للتماسك والتعاضد بين المؤمنين وإصلاح ذات بينهم، فقد كانت الأمثال تؤدي دوراً هاماً وبالغاً في التأثير على العواطف، وفي التأثير في السلوك الإنساني، وفي غرس القيم الإسلامية في نفس المسلم، فيما لو استعملت بحكمة، وفي الظروف المناسبة، حيث إنها تقرب صورة المرغَّب به إلى ذهن المخاطب وتزينه وتحسنه [٣]. فقد استخدم النبي ﷺ أسلوب ضرب الأمثال في الألفة بين المؤمنين، وفي تماسكهم؛ فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي، (مرجع سابق). (١٢/ ٢٦١).

(٢) الأخلاق والسير، ابن حزم، تحقيق: إيفار رياض، (ص١٥٢-١٥٣)، الناشر: دار ابن حزم، ط:١، السنة:١٤٢١ه.

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم الأخلاق، (مرجع سابق)، ١/ ١٤١).

منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[١]. فقد تضمن الحديث تشبيهاً بليغاً بحقوق المؤمنين بعضهم لبعض، والتي منها إصلاح ذات البين، فالمؤمنون كالجسد الواحد الذي إن تأثر جزء منه بسوء تأثر الجسد كله.

٤ـ إزالة الشبهات بين المتخاصمين.

الشبه سبب للوقوع في التنازع، وهي من أعظم أسباب العداوات، واستمرار للتشاحن والبغضاء، وهي من الموانع التي تحول دون تحقيق إصلاح ذات البين، يقول ابن سعدي – رحمه الله –: (واعلم أن كل حكم من الأحكام لا يتم ولا يكمل إلا بوجود مقتضيه وانتفاء موانعه، فمن ذلك هذا الحكم الكبير الذي هو الصلح)[٢] فلزوم الحق والأخذ به يلزم منه معرفة ما يصد عنه؛ ومنها الشبهات والسعي في إزالتها.

قال القرطبي– رحمه الله –:(قال العلماء: لا تخلو الفئتان من المسلمين في اقتتالهما، إما أن يقتتلا على سبيل البغي منهما جميعا أو لا، فإن كان الأول فالواجب في ذلك أن يمشى بينهما بما يصلح ذات البين ويثمر المكافأة والموادعة، فإن لم يتحاجزا ولم يصطلحا وأقامتا على البغي صير

---

(١) صحيح مسلم، كتال البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ح:٤٦٩٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، بن سعدي، (مرجع سابق)، (ص٢٠٧).

إلى مقاتلتهما، وأما إن كان الثاني وهو أن تكون إحداهما باغية على الأخرى، فالواجب أن تقاتل فئة البغي إلى أن تكف وتتوب، فإن فعلت أصلح بينها وبين المبغي عليها بالقسط والعدل، فإن التحم القتال بينهما لشبهة دخلت عليهما وكلتاهما عند أنفسهما محقة، فالواجب إزالة الشبهة بالحجة النيرة والبراهين القاطعة على مراشد الحق، فإن ركبتا متن اللجاج ولم تعملا على شاكلة ما هديتا إليه ونصحتا به من اتباع الحق بعد وضوحه لهما فقد لحقتا بالفئتين الباغيتين. والله أعلم)[1].

فبقاء الشبهات بين المتخاصمين يعني استمرار العداوة والتعدي، لأن كلا الطرفين يعتقد أنه هو الحق، وأن لديه الحجة والبرهان على ما يعتقد، وهي لا تعدو في كثير من الأحيان أن تكون هذه الشبهات متصلة بعادة موروثة، أو حمية جاهلية، أو مصالح دنيوية.

٥ـ التحذير من الشح في الخصومة.

الشح هو: عدم الرغبة في بذل ما على الإنسان، والحرص على الحق الذي له[2]، وهو من أعظم ما يحول دون تحقيق الصلح، وهو سبب لقطع الرحم واستحلال المحارم[3]، يقول ابن سعدي – رحمه الله– عند شرحه قوله ﷻ: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (مرجع سابق)، (١٦/ ٣١٧).
(٢) انظر: جامع البيان، الطبري، (مرجع سابق)، (٩/ ٢٧٩-٢٨٢).
(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ابن سعدي، (مرجع سابق)، (ص٢٠٦).

عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾ [النساء: ١٢٨] : (فالنفوس مجبولة على ذلك طبعا، أي: فينبغي لكم أن تحرصوا على قلع هذا الخُلُق الدنيء من نفوسكم، وتستبدلوا به ضده وهو السماحة، وهو بذل الحق الذي عليك؛ والاقتناع ببعض الحق الذي لك. فمتى وفق الإنسان لهذا الخُلُق الحسن سهل حينئذ عليه الصلح بينه وبين خصمه ومعامله، وتسهلت الطريق للوصول إلى المطلوب. بخلاف من لم يجتهد في إزالة الشح من نفسه، فإنه يعسر عليه الصلح والموافقة، لأنه لا يرضيه إلا جميع ماله، ولا يرضى أن يؤدي ما عليه، فإن كان خصمه مثله اشتد الأمر)[1].

قال محمد رشيد رضا – رحمه الله –: (يبين لنا سبحانه وتعالى في هذه الحكمة السبب الذي يحول بين الزوجين وبين الصلح، الذي فيه الخير وحسم مادة الخلاف والشقاق؛ لأجل أن نتقيه ونجاهد أنفسنا في ذلك، وهو الشح ومعناه: البخل الناشئ عن الحرص، ومعنى إحضاره الأنفس أنها عرضة له، فإذا جاء مقتضى البذل ما ينبغي بذله لأجل الصلح وإقامة المصلحة)[2]. ويقول الطاهر بن عاشور – رحمه الله –: (ويجوز أن يكون المراد من الشح ما جبلت عليه النفوس من المشاحة

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ابن سعدي، (مرجع سابق)، (ص٢٠٦).

(٢) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (مرجع سابق)، (٥/ ٣٦٤).

وعدم التساهل وصعوبة الشكائم فيكون المراد من الصلح صلح المال وغيره، والمقصود من تعقيبه به تحذير الناس من أن يكون متلبسين بهذه المشاحة الحائلة دون المصالحة...فكان هذا التعقيب تنفيراً من العوارض المانعة من السماحة والصلح)[١]. وقد جاءت السنة بالتحذير من الشح، والسعي في إزالته، فعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم)[٢]. وإنَّما كان الشُّح سببًا لِذلكَ لأنَّ في بذل المال ومُواساة الإخوان التَّحاب والتَّواصل، وفي الإمساك والشُّحِ التَّهاجر والتَّقاطع، وذلك يُؤدِّي إلى التَّشاجر والتَّعادي من سفْك الدّماء واستباحة المحارم مِن الفروج والأعراض وفي الأموال وغيرها[٣].

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (مرجع سابق)، (٥/ ٢١٧).

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، حديث رقم:٢٥٧٨.

(٣) انظر: موقع الدرر السنية في شرح حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه على الرابط:

https://www.dorar.net/hadith/sharh/139013

٦ـ التذكير بقرابة الرحم وأهميته.

من أساليب إصلاح ذات البين، وقطع التنازع والعداوات التذكير بالرحم وصلة القرابة، قال الله ﷻ في قصة موسى وهارون عليهما السلام :﴿ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥٠]. يقول السعدي – رحمه الله – :(هذا ترقيق لأخيه، يذكِّر الأم وحدها، وإلا فهو شقيقه لأمه وأبيه)[١]. وقال الهيتمي – رحمه الله –:(ومع ذلك ترفق هارون لموسى واستأخاه في العفو عنه لذكر ما بينهما من رحم الأمومة الذي هو أرق من رحم الأبوة إذ الأم أرفق وأرحم)[٢]. فينبغي لمن يتصدى لإصلاح ذات البين مراعاة هذا الأسلوب الناجع في التذكير بكل ما يبعث على ترقيق قلب الخصوم، والتي منها بلا شك صلة الأرحام والقرابة، فتكون سبباً لقبول الصلح، فإن العمل بمنهج الترغيب والعاطفة في العمل المراد والهدف المنشود منهج شرعي، كالترغيب في الصيام وأنه كان مشروعاً على من كان قبل الإسلام، وهذا فيه تنشيط للمنافسة فيه، وايضاً أنه أياماً معدودات لا مشقة فيها ولا كلفة، وإذا وجدت المشقة فإن رخصة الفطر ترفعها، إلى غير ذلك من العبادات التي رغَّب الشرع فيها، ورتب عليها السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة[٣].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ابن سعدي، (مرجع سابق)، (ص٣٠٤).

(٢) أسنى المطالب، الهيثمي، (مرجع سابق)، (ص٣١٨).

(٣) انظر: الإسلام لعصرنا، جعفر شيخ إدريس، (ص٤٥)، الناشر: أضواء البيان، الرياض، ط:١، السنة:١٤٢٢ه.

يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – في التأكيد على هذا المعنى عند ذكره لحديث بريرة رضي الله عنها: (وفيه استحباب الإصلاح بين المتنافرين سواء كانا زوجين أم لا، وتأكيد الحرمة بين الزوجين إذا كان بينهما ولد لقوله إنه أبو ولدك، ويؤخذ منه أن الشافع يذكِّر للمشفوع عنده ما يبعث على قبوله من مقتضى الشفاعة والحامل عليها)[1].

٧ـ التذكير بعواقب فساد ذات البين.

كما أن إصلاح ذات البين يهدف لتحقيق أهداف جليلة، وغايات حميدة، فإن فساد إصلاح البين، يؤدي إلى عواقب وخيمة، وتبعات لا تحمد نتائجه على كلا الطرفين، ولهذا ينبغي لمن يسعى في إصلاح البين أن يستخدم أسلوب التنفير من تبعات فساد العلاقات البينية بين أفراد المجتمع، والتذكير بأهمية تحقيق الألفة والمودة بينهم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله –:(والاحاديث تدل على أن حرب الجمل فتنة، وان ترك القتال فيها أولى، فعلى هذا نصوص أحمد وأكثر أهل السنة، وذلك الشجار بالألسنة، والأيدي أصل لما جرى بين الأمة بعد ذلك؛ في الدين والدنيا، فليعتبر العاقل بذلك وهو مذهب أهل السنة والجماعة)[2]. وقال أيضاً: (وهكذا حال المقتتلين من المسلمين في

---

(١) الفتح، ابن حجر العسقلاني، (مرجع سابق)، (٩/ ٥١٣).
(٢) الفتاوى، ابن تيمية، (مرجع سابق)، (٣٥/ ٥١).

الفـتن الواقعـة بيـنهم، فـلا تكـون عـاقبتهما إلا عاقبـة سـوء، الغالـب والمغلوب، فإنه لم يحصل له دنيا ولا آخرة، كما قال الشعبي: أصابتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء، ولا فجرة أشقياء)[1].

فالخصومات والمنازعـات سبب لكثير مـن الأضرار النفسية والصحية والاجتماعية، وهي أضرار متعدية لكـل مـن لـه علاقـة بأحـد أطـراف الخصـومة كـأفراد الأسرة، وكـذلك لـو كانـت الخصـومات والمنازعـات في المؤسسـة التجاريـة والشرـكات ونحـوه، فـإن الأضرار والعواقب تكـون لجميـع الأفـراد المنتسبين لهـا، ولهـذا يجـب الإسراع في تحقيق إصلاح ذات البين، والتذكير بعواقب فساد ذات البين، لدرء هذه الأضرار، ومنع حدوث مزيد منها، ومنع اسـتفحالها وتوسـعها؛ فبدايـة النار من مستصغر الشرر.

٨- التذكير بفضل المبادرة إلى الصلح.

جاءت الشريعة بالحث على الصلح، والدعوة إليه، ولهذا فأسلوب التذكير بفضل الصلح، والسعي بتحصيله من أسـمى الأعـمال، عـن أبي أيوب الانصاري ﷺ قال: قـال سـول الله ﷺ : (لا يحـل لمسـلم أن يهجـر أخاه فوق ثلاث، يلتقيان فيصد هذا ويصـد هـذا، وخيرهمـا الـذي يبـدأ بالسلام)[2]. فالحديث تضمن أن من صفات المسلم المبادرة إلى العفو، فإذا

---

(١) المرجع السابق، ٣٥/ ٥١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الاستئذان، باب: السلام للمعرفة وغير المعرفة، حديث رقم: ٦٢٣٧

نشأ بينهم وبين أخوان لهم خصام على أمر من الأمور، اسرعوا للسعي في الإصلاح من أنفسهم، من غير وسطاء، وأن الخيرية والفضل والرفعة لمن يبدا بالسلام والعفو، فينبغي لمن يتصدى للإصلاح بين الناس حث الخصوم على المبادرة إلى العفو والصفح، وأنه من فضائل الأعمال التي دلت عليها عموم النصوص من القرآن والسنة والتي منها قوله ﷻ: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢] . وقوله ﷻ: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الشورى: ٤٠] . يقول السعدى – رحمه الله – : (ذكر الله فى هذه الآية، مراتب العقوبات، وأنها على ثلاث مراتب: عدل، وفضل، وظلم. فمرتبة العدل: جزاء السيئة بسيئة مثلها، لا زيادة ولا نقص، فالنفس بالنفس، وكل جارحة بالجارحة المماثلة لها، والمال يضمن بمثله ومرتبة الفضل: العفو والإصلاح عن المسيء، ولهذا قال: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ يجزيه أجرًا عظيمًا، وثوابًا كثيرًا، وشرط الله فى العفو الإصلاح فيه؛ ليدلَّ ذلك على أنَّه إذا كان الجانى لا يليق العفو عنه، وكانت المصلحة الشرعية تقتضى عقوبته، فإنه فى هذه الحال لا يكون مأمورًا به وفى جعل أجر العافى على الله ما يُهيِّج على العفو، وأن يعامل العبد الخلق بما يحب أن يعامله الله به، فكما يحب أن يعفو الله عنه، فَلْيَعْفُ عنهم، وكما يحب أن يسامحه الله، فليسامحهم؛ فإنَّ الجزاء من جنس العمل وأما مرتبة الظلم: فقد ذكرها بقوله:﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

الذين يجنون على غيرهم ابتداءً، أو يقابلون الجاني بأكثر من جنايته، فالزيادة ظلم)[١]. ومنها قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧]. يقول ابن كثير – رحمه الله – : (أي: سجيتهم وخلقهم وطبعهم تقتضي الصفح والعفو عن الناس، ليس سجيتهم الانتقام من الناس)[٢]، فأسلوب التذكير بأهمية المبادرة إلى الصلح والعفو من مكارم الاخلاق التي تدل على سمو صاحبها، وشرف مكانته، ورزانة عقله.

٩- التحذير من هجر المسلم أخاه فوق ثلاث.

من الأساليب المحمودة في إصلاح ذات البين؛ تحذير المتنازعين بحرمة دوام الهجر والقطيعة، وأنه سبب لزيادة العداوات وتفكك المجتمعات، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –:(فلا يجوز ترك ما يجب من الإحسان للإنسان بمجرد ظلمه وإساءته في عرضه كما لا يمنع الرجل ميراثه وحقه من الصدقات والفيء بمجرد ذنب من الذنوب وقد يمنع من ذلك لبعض الذنوب)[٣]. وقال النووي – رحمه الله –: (يحرم الهجر بين المسلمين أكثر من ثلاث ليال بالنص وتباح في الثلاث بالمفهوم، وإنما عفي عنه في ذلك؛ لأن الآدمي مجبول على الغضب، وسوء الخلق، فسومح بذلك القدر ليرجع ويزول ذلك العارض)[٤]. ويقول ابن

---

(١) تيسير الكريم، ابن سعدي، (مرجع سابق)، (ص٧٦٠) .
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (مرجع سابق)، (٧/ ٢١٠)
(٣) الفتاوى، ابن تيمية، (مرجع سابق)، (١٥/ ٣٥٠).
(٤) شرح صحيح مسلم، النووي، (مرجع سابق)، (١٦/ ١١٧).

عبد البر –رحمه الله –:(وأجمع العلماء على أنه لا يجوز للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، إلا أن يكون يخاف من مكالمته وصلته، ما يفسد عليه دينه، أو يولد به على نفسه مضرة في دينه أو دنياه...)[1]. فينبغي تذكير الخصوم بأهمية ترك الهجر والقطيعة، وأن ذلك سبب لكثير من الشرور في الدنيا والآخرة.

١٠ـ التعذر بالغضب عند الخصومة.

التعذر والبحث عن الأعذار في الصلح خلق رفيع، وأسلوب راقي، ومن الأعذار الغضب وما يتولد منه من السباب والشتائم، فيتعذر لمن وقع منه الاعتداء والتجاوز اللفظي؛ وأنه كان في حالة الغضب، وأن الإنسان لا يملك نفسه عند الغضب غالباً، وقد أشار ابن القيم – رحمه الله – في عدله ﷻ عن قوله (سكن) إلى قوله: (سَكَتَ) في قوله ﷻ: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ﴾ [الأعراف: ١٥٤] . إشارة إلى أن الغضب بمنزلة السلطان الناهي، الذي يقول لصاحبه: افعل، لا تفعل، فهو مستجيب لداعي الغضب الناطق فيه، المتكلم على لسانه[2].

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والاسانيد، ابن عبد البر، تحقيق: أسامة بن إبراهيم، (١٥/ ٧٩)، الناشر: الفاروق الحديثة، ط:١، السنة:١٤٢٠ه.

(٢) إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان، ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الرحمن بن حسين، إشراف: بكر أبو زيد، (ص١٣)، الناشر: دار عالم الفوائد، ط:١، السنة:١٤٢٥ه.

فالغضب شر؛ وهو وسيلة لكثير من المنازعات، يقول ابن سعدي –رحمه الله –: (ومن الأمور النافعة أن تعلم أن أذية الناس لك وخصوصا في الأقوال السيئة لا تضرك بل تضرهم إلا إن أشغلت نفسك في الاهتمام بها، وسوغت لها أن تملك مشاعرك، فعند ذلك تضرك كما ضرتهم، فإن أنت لم تصنع لها بالا، لم تضرك شيئاً)[1]، ويقول ابن رجب – رحمه الله – :(... ؛ لأن الغضبان يصدر منه في حال غضبه من القول ما يندم عليه في حال زوال غضبه كثيراً من السباب وغيره مما يعظم ضرره ، فإذا سكت زال هذا الشر كله عنده)[2]. فينبغي لمن يسعى في إصلاح ذات البين مراعاة هذا الأسلوب الناجع في الصلح، وقطع المنازعات، وترقيق القلوب وعودة المودة والالفة بين المتخاصمين.

ثانياً: آثاره على الفرد والمجتمع.

لإصلاح ذات البين آثار وفوائد على الفرد والمجتمع، وهو من أعظم الأسباب التي تسهم في جلب المصالح ودرء المفاسد، يقول ابن سعدي – رحمه الله –: (هذا الأصل العظيم، والقاعدة العامة أي جلب المصالح ودرء المفاسد يدخل فيها الدين كله، فكله مبني على تحصيل المصالح في الدين والدنيا والآخرة، وعلى دفع المضار في الدين والدنيا

---

(١) الوسائل المفيدة، ابن سعدي، (مرجع سابق)، (ص٣٠).

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، (ص١٤٦)، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ط:١، السنة: ١٤٠٨ه.

والآخرة، ما أمر الله بشيء إلا وفيه من المصالح ما لا يحيط به الوصف وما نهى عن شيء إلا وفيه من المفاسد ما لا يحيط به الوصف)[1].

فالمصالح التي يحققها المجتمع من صلاح أفراده لا تكاد تحصر، ولا حدود لها، ولهذا تعددت آثار إصلاح ذات البين، وتنوعت من حيث الآثار المتعلقة بالأفراد؛ كالسعادة والاستقرار وتربية النفس على العفو وكسب مودة الله ﷻ والناس وحسن الصحبة والرفعة يوم القيامة، والأثار المتعلقة بالمجتمع كله، والتي من أبرزها:

١- التضامن والتكافل بين أفراد المجتمع.

من الآثار المرجوة من إصلاح ذات البين التضامن والتكافل بين أفراد المجتمع، فصلاح بينهم مدعاة لتحقيق التواصل ومد يد العون والمساعدة، ليبقى المجتمع متماسكاً، فيعطف الكبير على الصغير ويسعى الأخ في حاجة أخيه، ويساهم الغني في سد حاجة الفقير، وفي المقابل التنازع والخصام لا يحقق هذه القيم؛ ولا تستقيم به الأخلاق؛ لأن الشحناء والعداوة هي السائدة، فتطغى روح التقصير على روح المسامحة والعفو، فلا تتحقق مثل هذه الأخلاق الكريمة، ولا تنمو مشاركة المجتمع في المحافظة على المصالح الخاصة والعامة ودفع المفاسد الخاصة

(١) رسالة في القواعد الفقهية، ابن سعدي، (ص١٥-١٦)، الناشر: دار الوطن، الرياض، ط:١، السنة:١٤١٣ه.

والعامة إلا بتحقيق صلاح ذات البين، الذي تتحقق فيه ولاية المؤمنين بعضهم لبعض، والذي يشعر به كل فرد منهم بأن عليه حقوق تجاه الآخرين، وخاصة الذين ليس باستطاعتهم أن يحققوا حاجتهم الخاصة ، يقـــــــول الله ﷻ : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبـــة: ٧١] .

وهو المعنى الذي جاء في حديث النعمان بن بشير – ﷺ–قال: قال رسول الله ﷺ : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[1].

٢–توحد المجتمع المسلم وتماسكه.

تماسك المجتمع المسلم وتوحده من أهم غايات وأهداف الأخوة الإسلامية، ولتحقيق ذلك لابد من إصلاح ذات البين، وقطع الخلافات والنزاعات التي تتسبب في تفكك المجتمع المسلم، ولهذا نجد أن النبي ﷺ لما نزل إلى المدينة، كان من أول أعماله المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وإزالة ما بين الأنصار من عداوات وثارات، وبذلك حمى المجتمع المسلم في المدينة من التفرق، فأحكم بنيانه، ورص صفوفه، وهيأه لمواجهة كثير من المشاكل التي كادت أن تعصف به وتذهب

---

(١)صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم:٢٥٨٦

شوكته، وحذرهم من كل ما يسبب تفكك وتماسك هذه الأخوة كما في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تحاسَدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبعْ بعضكم على بيع بعضٍ، وكونوا - عباد الله - إخوانًا، المسلم أخو المسلم: لا يظلِمه، ولا يخذُله، ولا يكذِبه، ولا يحقِره، التقوى ها هنا - ويشير إلى صدره ثلاث مراتٍ - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرامٌ: دمُه ومالُه وعِرضه)[1]، قال الهيتمي - رحمه الله -: (هو حديث كثير الفوائد، مشير إلى جل المبادئ والمقاصد، بل هو عند تأمل معناه وفهم مغزاه حاوٍ لجميع أحكام الإسلام منطوقًا ومفهومًا، ومشتمل على جميع الآداب أيضًا إيماءً وتحقيقاً)[2]، فالأخوة الإسلامية مدعاة إلى الإصلاح بين الناس، وهو سبب لتماسكهم ولمِّ شملهم، وعلاج الخلاف بينهم، والله ﷻ يقول: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات: ٩] . ويقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات:

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، حديث رقم:١٢٥٦٤

(٢) الفتح المبين بشرح الأربعين، ابن حجر الهيثمي، (ص٢٢٧)، الناشر: دار المنهاج، جدة، ط:١، السنة:١٤٢٨ه.

١٠]، فتوحد المسلمين وتماسكهم وبقاء أخوتهم؛ مبني على حسن علاقتهم وصلاح بينهم.

٣- علو المجتمع المسلم وتميزه.

من خصائص المجتمع المسلم سمو أخلاقه وعلو قيمه، والتي منها السلام والوئام، ولا تتأتى هذه القيمة إلا بصلاح بينهم، فالمجتمعات الإسلامية مجتمعات تتميز بالعلاقات الاجتماعية القوية، كالعفو والمغفرة وحسن المعشر، وبر الوالدين، وأداء المعروف، وحب المساكين، والسعي في حاجات بعضهم البعض، ومراعاة حق الجار، وحقوق أتباع الديانات والملل الأخرى؛ رغبة في المثوبة والأجر، وهذه القيم لا تكاد تجدها إلا عند المسلمين، فصلاح ذات البين سبب لعلو المسلمين وتميزهم عن الآخرين، ولهذا حرص الإسلام كل الحرص على أن يبتعد عن الصدام والنزاع مع الآخَر، حتى ولو تحمّل أتباعه بعض الجور والظلم، وهذا ليس من منطلق ضعف أو خوف؛ إنما من أجل الرغبة في التعايش مع الآخر، فرسالتُه تهدف إلى إرساء قواعد الأخلاق، وحسن العشرة والمُخالطة مع المخالفين قبل الموالين.

٤- قوة المجتمع المسلم ومنعته.

من آثار إصلاح ذات البين قوة المسلمين ومنعته، يقول الله ﷻ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١]، ولهذا أوجب الله على المسلمين أن يصلحوا ذات بينهم؛ لأنه سبب لقوتهم، والنزاع والتباغض والعداوات سبب لفشلهم

وهزيمتهم، يقول إسماعيل حقي – رحمه الله – : (اتقوا بالله عن غير الله، وأصلحوا ما بينكم من الأخلاقِ الرَّديئة، والهِمَمِ الدَّنيئة، وهي الحرصُ على الدنيا، والحسدُ على الإخوان، وغيرهما من الصفاتِ الذَّميمة التي يُحجَب بها نورُ الإيمان عن القلوب)[1] ويقول السعدي – رحمه الله –: (أصلحوا ما بينكم من التشاحن والتقاطع والتدابر بالتوادد والتحاب والتواصل. فبذلك تجتمع كلمتكم، ويزول ما يحصل بسبب التقاطع من التخاصم، والتشاجر والتنازع ويدخل في إصلاح ذات البين تحسين الخلق لهم، والعفو عن المسيئين منهم فإنه بذلك يزول كثير مما يكون في القلوب من البغضاء والتدابر والأمر الجامع لذلك كله)[2]. فصلاح ذات البين سبب للقوة التي فيها مجابهة العدو، وردع البغاة، وسلاح لبث الرعب في قلوب المعتدين.

٥-استقامة المجتمع المسلم وحسن سلوك أفراده.

استقامة أي مجتمع من المجتمعات وحسن سلوك أفراده سبب لتفوقه وتقدمه، ولهذا اعتنى الإسلام باستقامة المجتمع المسلم وحرص على سلوك أفراده، فنهى عن كل طريق يؤدي إلى البغضاء والعداوات والشر، وحث إلى كل طريق يؤدي إلى المحبة والتآلف، ولهذا أمر الله ﷻ

---

(١) تفسير روح البيان، إسماعيل حقي، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط: بدون، السنة: بدون، (٢/ ٢٣٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ابن سعدي، (مرجع سابق)، (ص٣١٥).

بإصلاح ذات البين ، لما فيه من استقامة المجتمع المسلم، يقول الله ﷻ ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ١٠].

فأخوة المؤمنين أثر لاستقامتهم، واستقامتهم أثر لصلاح بينهم؛ الذي به تهدا النفوس، وينقطع دابر الشر، وبه تجف أسباب البغضاء والأحقاد.

٦- حماية المجتمع المسلم من الافتراق.

من آثار إصلاح ذات البين الاتفاق والاجتماع، ولهذا أمر الشرع بحماية العلاقات بين المسلمين بمنع كل أسباب النزاع والخصام، فتوحد الصف الإسلامي واجتماع كلمة المسلمين، يؤدي إلى استقرار أفراد المجتمع الإسلامي، وأمن أفراده، يقول ﷻ :﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦] ، يقول الطبري – رحمه الله –:(وتذهب قوتكم وبأسكم، فتضعفوا ويدخلكم الوهن والخلل)(١)، وقال ابن سعدي – رحمه الله – : (وَلَا تَنَٰزَعُوا۟) تنازعا يوجب تشتت القلوب وتفرقها، (فَتَفْشَلُوا۟) أي: تجبنوا (وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) أي: تنحل عزائمكم، وتفرق قوتكم، ويرفع ما وعدتم به من النصر على طاعة اللهّ ورسوله)(٢)، فالآية تضمنت نهي جازم، وسنة ثابتة، يدل على أن الفشل والتراجع على مستوى الأمة أو

(١) تفسير الطبري، ابن جرير الطري، (مرجع سابق)، (١٣/ ٥٧٦).
(٢) تيسير الكريم الرحمن، ابن سعدي، (مرجع سابق)، (ص٣٢٢).

الأفراد إنما مرجعه إلى التنازع والاختلاف؛ إذ العلاقة بين الأمرين علاقة تلازمية، كعلاقة السبب بالمسبَّب تمامًا، لا تتخلف إلا إذا تخلفت سُنَن الحياة الكونية، كأن تصبح قوة الجاذبية إلى السماء لا إلى الأرض، وعلى ما تقدم، فإن النهي عن التنازع يقتضي الأمر بمنع أسباب التنازع وموجباته، من شقاق واختلاف وافتراق؛ والأمر بتحصيل أسباب التفاهم ومحصلاته، من تشاور وتعاون ووفاق[1].

❁❁❁

(١) المرجع السابق، (ص٣٢٣).

الخاتمــة

الحمد لله على ما منَّ به من إتمام هذا البحث، وأسأل الله ﷻ أن يجعله عند حسن من قرأه وسمعه، وأن يحسن العاقبة ويغفر الزلل.

وفي ختام هذا البحث أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها، وأبرز التوصيات، وهي على النحو التالي/

أهم النتائج:

١- القيام بإصلاح ذات البين من الأخلاق الكريمة التي دعا إليها الإسلام، وحث على العمل بها، وهو من الضروريات التي تدعو إليها الفطرة الإنسانية، والنفوس السوية.

٢- أن أساس استقامة المجتمعات وتنميتها يكون بإصلاح ذات البين، وبقطع نوازع الشر وأسباب العداوة والبغضاء بين أفراده.

٣- أن إصلاح ذات البين ضرورة للوقاية من المهالك التي تقود الأفراد والمجتمعات إلى النزاع والشقاق، والأسرة إلى الانهيار والتصدع.

٤- أن إصلاح ذات البين من المصالح الكبرى التي يجب على المسلمين العمل به، والمبادرة للسعي في تحقيقه.

٥- إصلاح ذات البين واجب كفائي على أهل البلد، إن قام به البعض سقط عن الآخرين، وقد ورد الأمر به في لقران والسنة النبوية.

٦- لا يتأتى إصلاح ذات البين إلا بضوابط لا يشرع إلا بها، ولا يؤدي غايته إلا بمراعاتها، والتي منها أن يكون مما يحب الله ﷻ ورسوله ﷺ، وأن تحصل منه المصلحة الكبرى وأن لا يترتب عليه فساد كبير.

٧- اشتمال إصلاح ذات البين على أساليب عديدة ومتنوعة، ولهذا فعلى من يسعى في تحقيق إصلاح البين مراعاتها والعمل بها.

٨- غاية إصلاح ذات البين قيام المجتمع المسلم على الأخوة، واستقامته على الاخلاق الكريمة والتعاون على أعمال البر.

٩- أن معرفة الأسباب التي تؤدي إلى النزاع والخصومة وقطعها سبيل لمنع فساد ذات البين، فالوقاية خير من العلاج.

١٠- أن آثار إصلاح ذات البين على الفرد والمجتمع كثيرة ومتنوعة، وهو أساس لجلب المصالح وتحصيلها، ودفع المفاسد وتقليلها.

التوصيات:

١- أهمية إنشاء مؤسسات وجمعيات تسعى لتحقيق إصلاح ذات البين، يكون أفرادها من المؤهلين علمياً ومنهجياً، ويكون لديهم القدرة والتدريب الكافي على القيام بإصلاح ذات البين.

٢- من الضروري قيام المؤسسات العلمية بالبحث في أسباب فساد ذات البين، وتكليف الدارسين بالبحوث والدراسات الميدانية والتحليلية والوصفية التي تعتني بجوانب العلاقات بين الناس.

٣- التأكيد على التزام الصدق والأمانة في المعاملات بين أفراد المجتمع؛ لقطع الأسباب المؤدية إلى النزاع والشقاق والعداوة.

٤- الاعتناء بالأخلاق الإسلامية التي تؤكد على العفو والتنازل، والأخذ بمبدأ التغافل وغض الطرف عن أخطاء الآخرين وسقطاتهم.

٥- تحفيز القائمين على الإصلاح بين الناس ودعمهم مادياً ومعنوياً؛ رغبة في استمرار سعيهم، وتعزيزاً لجهودهم الإصلاحية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

ثبت المصادر والمراجع/

- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد الغزالي، الناشر: دار الهادي، بيروت، ط: ١، ١٤١٢ه
- الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن بن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، سوريا، ط: ٥، السنة: ١٤٢٠هـ
- الأخلاق والسير، ابن حزم، تحقيق: إيفار رياض، الناشر: دار ابن حزم، ط:١، السنة:١٤٢١ه.
- إرشاد أولى البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب، ابن سعدي، تحقيق: أشرف عبد المقصود، ط: أضواء السلف، ط: ١، السنة: ١٤٢٠هـ.
- الإسلام عقيدة وشريعة، محمود شلتوت، الناشر: دار الشروق، ط: ١٢، السنة: ١٤٠٣ه.
- الإسلام لعصرنا، جعفر شيخ إدريس، الناشر: أضواء البيان، الرياض، ط:١، السنة:١٤٢٢ه.

- أسنى المطالب في صلة الأقارب، أحمد بن محمد الهيتمي، تحقيق: خلاف محمود عبد السميع، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، السنة:١٤٢٤ه.
- أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط:٣، السنة:١٤١٤ه.
- أعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ.
- إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان، ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الرحمن بن حسين، إشراف: بكر أبو زيد، الناشر: دار عالم الفوائد، ط:١، السنة:١٤٢٥ه.
- إكمال المعلم بفوائد مسلم، عياض اليحصبي، تحقيق: يحيى إسماعيل، (٨/ ٣٠)، الناشر: دار الوفاء، الرياض، ط:١، السنة:١٤٠٩ه
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ابن تيمية، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية، الرياض، السنة:١٤٠٨ه.

- بريقه محمودية، محمد الخادمي، الناشر: الحلبي، السنة:١٣٤٨ه.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: محمد علي النجار، ط: وزارة الأوقاف بجمهورية مصر، ط: ٢، ١٤٠٦هـ.
- بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، ابن سعدي، تحقيق: أشرف عبد المقصود، الناشر: دار الريان، القاهرة، ط: ١، السنة: ١٤٠٨ه.
- البيت السعيد، صالح بن حميد، الناشر: در بلنسية، ط:٢، السنة:١٤١٩ه.
- تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي، ط: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- تفسير أبو حيان الأندلسي، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرون، الناشر: دار الكتب العلمية، ط:١، ١٤١٣هـ.

- تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد العمادي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:٢، السنة:١٤١١ه.
- تفسير البغوي، محمد البغوي، الناشر: دار طيبة، ط: ١، الرياض.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: محمد إبراهيم البنا وآخرون، الناشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة والسنة: بدون.
- تفسير القرآن العظيم، محمد بن صالح العثيمين، ط: دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢٣هـ.
- تفسير القرآن، أبو المظفر السمعاني، تحقيق: أبو بلال غنيم بن عباس، الناشر: دار الوطن، ط: ١، ١٤١٣هـ.
- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت، ط:١، السنة: ١٤١١ه.

- تفسير روح البيان، إسماعيل حقي البرووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:٧، السنة:١٤٠٥ه.
- تفسير روح البيان، إسماعيل حقي، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط: بدون، السنة: بدون.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والاسانيد، ابن عبد البر، تحقيق: أسامة بن إبراهيم، الناشر: الفاروق الحديثة، ط:١، السنة:١٤٢٠ه.
- تيسير الكريم الرحمن، ابن سعدي، تحقيق عبد الرحمن اللويحق، الناشر: دار السلام، الرياض، ط: ٢، السنة:١٤٢٢ه.
- جامع البيان في تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط: دار هجر – القاهرة، ط: ١ ١٤٢٢هـ.
- جامع العلوم والحكم، ابن رجب، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ط:١، السنة: ١٤٠٨ه.

- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥ه.
- الجديد في تفسير القرآن المجيد، محمد السيزواري، ط: دار التعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط: ١، السنة: ١٤٠٢هـ.
- الحكم الجامعة لشتى العلوم النافعة، عبد الله آل محمود، الناشر: بدون، السنة: ١٣٩٩ه.
- الرحيق المختوم صفي الدين المبار كفوري، الناشر: دار الكتاب والسنة، كراتشي – باكستان.
- رسالة في القواعد الفقهية، ابن سعدي، الناشر: دار الوطن، الرياض، ط:١، السنة:١٤١٣ه.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين الألوسي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت)، ط: ٤، السنة: ١٤٠٥هـ.
- السلوك الاجتماعي في الإسلام، حسن أيوب، دار السلام، السنة: ١٤٢٢هـ.

- السياسة الشرعية، ابن تيمية، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية، الرياض، السنة:١٤١٩ه.
- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار مصطفى الباز، ط:١، السنة: ١٤١٧ه.
- شرح صحيح البخاري، ابن بطال أبو الحسن بن علي خلف، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، (٨/ ٨٤)، الناشر: مكتبة الرشد- الرياض، ط:١، السنة:١٤٢٠ه.
- شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، السنة:١٤١٠ه.
- صيد الخاطر، أبو الفرج ابن الجوزي، تحقيق: عبد الرحمن البر، الناشر: دار اليقين، القاهرة، ط:٣، السنة:١٤١٩ه.
- العقوبة، محمد أبو زهرة، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة، ط:١، السنة: ١٩٩٧م.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي العسقلاني، الناشر: دار السلام، الرياض، ط:١، السنة:١٤١٨ه.
- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، أحمد بن عبد الرحمن البنا، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: بدون.
- فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، اعتنى به: يوسف الغوش، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ط١، السنة:١٤١٥ه.
- الفتح المبين بشرح الأربعين، ابن حجر الهيثمي، الناشر: دار المنهاج، جدة، ط:١، السنة:١٤٢٨ه.
- فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد، فضل الله الجيلاني، تحقيق: أبو البراء يوسف البكري، الناشر: دار المعاني، ط: ١، السنة: ١٤٢٠هـ.
- لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد البغدادي، تحقيق: عبد السلام شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، السنة: ١٤١٥ه.

- لسان العرب، ابن منظور، تحقيق وتصحيح: أمين وهاب ومحمد الصادق العبيدي، ط: دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت–لبنان، الطبعة: ٢، ١٤١٧هـ.
- المبسوط، أبو بكر السرخسي، تحقيق: سمر مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:١، السنة:١٣٢٢ه.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط: ١٤١٦هـ.
- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، بن باز، جمع: محمد الشويعر، ط: رئاسة البحوث العلمية، الرياض، ط:٣، السنة/ ١٤٢١ه.
- محاسن الإسلام، محمد بن عبد الرحمن البخاري، تحقيق: محمد بن عبد السلام سلاطين، الناشر: المكتبة المصرية، ٢٠٠٤م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد الله الأنصاري وآخرون، ط: ١، السنة:١٤٠٢ه.

- المختارات الجلية من المسائل الفقهية، ابن سعدي، ط: الرئاسة العامة لإدارات البحوث، الرياض، ط:٢، السنة:١٤٠٥ه.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي القارئ، تحقيق: صدقي العطار، الناشر: دار الفكر، السنة:١٤١٤ه.
- المسند، أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد بن محمد شاكر الناشر: مكتبة التراث الإسلامي، الرياض.
- المصباح المنير في غريب الرح الكبير، أحمد بن محمد المقرئ، تحقيق: عادل مرشد، (ص٢٨٤)، دار النشر ورقم الطبعة (بدون).
- معالم التنزيل، أبو محمد بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة، ط:٤، السنة: ١٤١٧ه.
- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، مادة: (صلح)، ط: المكتبة الإسلامية، إسطنبول، ط: ٢.
- مقاصد الشريعة الإسلامية، الطاهر بن عاشور، تحقيق: محمد بن الخوجة، الناشر: وزارة الأوقاف القطرية، ط:١، السنة:١٤٢٥ه

- مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق: محمد الحبيب بن خوجة، الناشر: وزارة الأوقاف – قطر، ط: ١ السنة: ١٤٢٥ه.
- المنتخب من المسند، أبو محمد عبد بن حميد، تحقيق: السيد صبحي السامرائي ومحمود محمد الصعيدي، (ص١٣٥)، الناشر: عالم الكتب، ط: ١، السنة:١٤٠٨ه.
- موقع الدرر السنية في شرح حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه على الرابط:
https://www.dorar.net/hadith/sharh/139013
- الموقوف على معاني الترغيب والترهيب اللغوية والاصطلاحية، انظر: الترهيب في الدعوة في القرآن، رقية بنت نصر الله، الناشر: دار أشبيليا، الرياض، ط:١، السنة:١٣٢٠ه
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن البقاعي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط:٢، السنة: ١٤١٣ه.

- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، الناشر: دار القلم، دمشق، ط:١، السنة:١٤١٥ه.
- الوسائل المفيدة للحياة السعيدة، عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي، الناشر: رئاسة البحوث العلمية – الرياض، ط:٣، السنة: ١٤١٧ه.

فهرس المحتويات/

المقدمة ٩٥٠
أهمية اختيار الموضوع:.....٩٥١
تساؤلات البحث:.....٩٥٢
أسباب اختيار الموضوع:.....٩٥٢
أهداف الموضوع:.....٩٥٣
حدود البحث:.....٩٥٣
منهج البحث:.....٩٥٣
تقسيمات البحث:.....٩٥٤
تمهيد ٩٥٦
أولاً: مفهوم الإصلاح في اللغة والاصطلاح:.....٩٥٦
ثانيا: مفهوم ذات البين:.....٩٥٨
ثالثا: إصلاح ذات البين:.....٩٥٩
المبحث الأول: ٩٦٠
مشروعية إصلاح ذات البين وفضله. ٩٦٠
أولاً: مشروعية إصلاح ذات البين.....٩٦٠
ثانياً: فضل الإصلاح بين الناس.....٩٦٦
ضوابط إصلاح ذات البين وأهدافه. ٩٧٩
أولاً: ضوابط إصلاح ذات البين.....٩٧٩
ثانيا: أهداف إصلاح ذات البين.....٩٩٢
المبحث الثالث: ١٠٠١
أساليب إصلاح ذات البين وآثاره. ١٠٠١
أولاً: من أساليب إصلاح ذات البين.....١٠٠٢

ثانياً: آثاره على الفرد والمجتمع..... ١٠١٩
الخاتمـــة الحمد لله على ما منَّ به من إتمام هذا البحث، وأسأل الله ﷻ أن يجعله عند حسن من قرأه وسمعه، وأن يحسن العاقبة ويغفر الزلل. ١٠٢٧
أهم النتائج:..... ١٠٢٧
التوصيات:..... ١٠٢٨
ثبت المصادر والمراجع/ ١٠٣٠
فهرس المحتويات/..... ١٠٤٢